

على أحمد باكثير

أبراهيم بن عبد الله

مترجم في مجموعة فصول

وتمت حيا ان خيرا

الناشر

دار الفكر العربي

ابراهيم بابا
رَسُول الْوَحْدَةِ الْعَرَبِيَّةِ

مكان الرواية : مصر وسوريا والأناضول
زمان الرواية : أوائل القرن التاسع عشر

أشخاص المسرحية

ابراهيم باشا	بطل المسرحية
بشير الشهابي	أمير جبل لبنان
السكرتير نيل سيف	سليمان باشا الفرنساوي
سرحان	فارس نجدى جعله ابراهيم باشا في حرسه الخاص
صابر	جاسوس متملق من جواسيس الدولة
نعمان	قتل أبوه بأمر ابراهيم باشا لمناصرته لعبد الله باشا والى عكا
ثامر	أخو نعمان
زيد و خالد	ابنا عم نعمان
الأمير عباس باشا	ابن أخى ابراهيم باشا
احمد بك المنيكلي	من قواد ابراهيم باشا
رشيد باشا	الصدر الأعظم قائد جيوش السلطان
مصطفى بربر	من زعماء الشام
الطبيب	طبيب ابراهيم باشا الخاص ومساعداه
جماعة من أبناء عمومة نعمان	
ضباط وجنود مصريون وحجاب	
فتى سوري متظلم من أحد الجند	

الفصل الأول

في قصر ابراهيم باشا بالجيزة — في قاعة الاستقبال —
قاعة كبيرة مستديرة على جدرانها نقوش فنية وكلها مفروشة
بالسجاد الثمين — تمتد على جوانبها أرائك مفروشة بالخمير
الأخضر وفوقها مساند مبطنة بالحرير . للقاعة بابان أحدهما
من جهة اليمن وهو الباب الذي يدخل منه الضيوف من الخارج
والآخر على يسار المسرح وهو يصل القاعة بسائر القصر .
يرى ابراهيم باشا جالسا على الأريكة في صدر المسرح وهو
يدخن الشيشة وينتدب دعاتها في هدوء وينظر اليه وهو يتصاعد في
الهواء نظرة الحالم . ويبدو مدة كأنه مستغرق في فكر عميق .

ابراهيم : (كأنه يتحدث نفسه)

أتري الأيام تحقق هذا الحلم الجميل ؟ مصر وفلسطين
والشام والرافدان ونجد والحرمان الشريفان والمغرب من
أدناه إلى أقصاه والسودان وأرض اليمن . شعب واحد
ينطق بلسان واحد ويسير إلى هدف واحد . أبشرى . .
أبشرى يا مصر ، ستكوزين نحر الشرق وحاضرة الأمم
العربية . إن الوطن العربيّ الأكبر يثَّاب اليوم كي
يستيقظ من نومه الكهفيّ الطويل . أترأه يقوم على ساعدي
فإنزلي التاريخ مكاناً ما ناله قبلي هرون الرشيد ؟

(يدخل الحاجب ويقف دون الباب انحناء)

ابراهيم : (يلتفت اليه) ما وراءك .. هل قدم الضيف ؟

الحاجب : نعم يامولاي

ابراهيم : ائذن له بالدخول

الحاجب : سمعاً يامولاي (يخرج)

(يضع ابراهيم شيشته وينهض من أريكته حتى يقف قرب الباب)

(يدخل الأمير بشير الشهابي أمير لبنان)

بشير : السلام على مولاي الباشا

ابراهيم : (يصافحه بحرارة) وعليك السلام ورحمة الله .. مرحباً

بالصديق العزيز . تفضل

(يأخذ بيده حتى يجلسه على الأريكة بجانبه)

بشير : شكراً يامولاي الأمير . كيف حالك وكيف حال مولانا

الوالى — أيده الله

ابراهيم : بخير والله الحمد . وكيف أنت ياأمير الجبل ؟

بشير : لا أحسب حالى يسرك يامولاي فلم يزل حال المعزول

الطريد كما عهدتني بمصر منذ تسع سنين

ابراهيم : أمّا أنك كنت معزولاً فهذا حق ولسكني أشك أنك كنت

طريداً في وادى النيل الذى كان سعيداً بأيواء مثلك

بشير : صدقت ياسيدى . ما كنت طريداً بمصر فقد كادت تنسينى

بلدى مما بالغت فى إكرامى والخفاوة بى . إني عاجز عن

شكر أيادى أهلك العظيم وأياديك

ابراهيم : لم تفعل سوى ما أنت أهل له يا أمير الجبل
 بشير : والله لقد ضمتكم جراحى إذ ذاك وأشعرتونى أن لنا
 أبناء العرب بمصر ملاذا من الجور الاعجمي

ابراهيم : لا تنس أننا كلنا فى معاناة هذا الجور سواء
 بشير : بل مصر أسوأ حالا منا لقوتها بالقياس إلى ضعفنا . .
 أو ليس عجباً أن تبقى مصر تابعة للقوم ولا نخشى دولة
 القوم إلا بقوة مصر ؟ قديرون القيد على المستضعف
 أما القوي فلا

ابراهيم : (يطرق هبة ثم يرفع رأسه) أى والله يا صديقى ما عدوت الحق
 بشير : ليت شعرى متى تتخلص أقطارنا من هذا النير الثقيل ؟
 (يتهد) ويلهم . . نفونى من أرض آثى

ابراهيم : أما زلت تذكر هذا النفي وقد رجعت إلى بلادك ؟
 بشير : هل رجعت إلى بلادى إلا بشفاعه أبيك - حفظه الله ؟ وهل
 أقمت بها إلا ذليلاً منذ ذلك اليوم ؟

ابراهيم : لن يطول مقامك فيها على ذل طاعتهم حتى نستنقذها منهم
 ونشردهم عن حدود بلاد العرب . إن مصر والشام
 لصنوان يكمل أحدهما الآخر منذ عهد الفراعنة السابقين
 لا يستغنى واحد منهما عن أخيه

بشير : ليت هذين البلدين يتحدان تحت ظلكم

أبراهيم : بل أذهب إلى أبعد من ذلك يا صديقي . إن هذه الشعوب
التي تتكلم بالعربية من أقصى السودان إلى طوروس ومن
بحر الظلمات إلى البحر العربي وشط العراق لمن حقها أن
لا تبقى هكذا متناكرة تحت هذا الحكم البغيض . لا بد لها
من يوم تعرف فيه سيؤددها المساوب وتجمع فيه الأمر
فويل يومئذ للطغاة المستعبدين

بشير : ما أعلی همتك ياسيدي وأبعد مرماك

أبراهيم : إننا لن نغاب من قلة أبداً . فنحن اليوم لا ننقص عن
أمة الخمس أو شعب فرنسا أو الأمة الانجليزية . ولدينا
من تاريخنا القومي ومن روح الاسلام ومثله العليا ما يجعلنا
قوة لا تقوم لها قوة في الأرض

بشير : لیتکم ما قضیت علی الوهابیین بنجد، إذن لمسوا أن يكونوا
عوناً لكم في هذا الأمر . فقد كانوا شوكة أخرى في جنب
السلطان فانتقشها بكم . سلطكم عليهم ليقضي عليهم ثم عليكم
أبراهيم : إن ما قلته لصحيح ولكننا كنا في ظروف قاهرة حملتنا على
إرضاء السلطان من جهة وعلى تحقيق سلامة مصر من
جهة أخرى . وأنا المتحسر بعد على ما حل بهم مني

بشير : أو ياليتكم إذ قضيت عليهم عفوتهم عن أميرهم عبد الله بن
سعود فما كان جديراً أن يساق إلى القوم ليصابوه ويمشوا به

ابراهيم : كنا نظن اليوم أكرم من أن ينالوا من خصم قد دان لهم
وأناهم ضيفا عليهم، وما دار بخلدنا أنهم يرفضون شفاعتنا
في ذاك الأمير الشهم . ولكن ليس هذا بأول رجاء خاب
لنا في هذا السلطان . والله لضاعف مقتل عبد الله كراهيتي
لهم . والله لا تنتقم له منهم

بشير : نعم الأخ ينتقم لأخيه

ابراهيم : أجل كان عبد الله عزيزا على . ولو رأيتنا وقد تصاحفنا
بعد القتال وتصافينا بعد العداء لرأيت عجباً . كان — رحمه
الله — يزورني ويسمر عندي في الخيم فنحتسى القهوة
العربية معا ونتذاكر في شئون البلاد العربية وتوحيدها
فيشتعل حماسه ويحرضني على الثورة والاستقلال ويدعو
لي بالنجاح . وما أنس من الأشياء لا أنس قوله لي « إننا لم
نألك يا ابراهيم قتالا . ولكن لعل الله اختارك لتقوم
لأبهذا امر »

بشير : كيف وجدت يا سيدي أبناء نجد ؟

ابراهيم : لم أر في حياتي أشجع ولا أكلب على القتال منهم، وإن
نساءهم ليقاتلن معهم ويحرضن الرجال فيستमितون في
القتال . وما شهدت امرأة أشجع ولا أعقل من غالية
الوهابية . وإن ابنها اليوم لعندي

بشير : ابنها هنا في مصر ؟

ابراهيم : نعم ، بعثته أمه إلى من نجد ليقاتل معي لما بلغها عزمي على غزو الشام .

بشير : ما سمعت حديثاً أعجب من هذا

ابراهيم : أتحب أن تراه ؟

بشير : لو تسكرتم يا سيدي

ابراهيم : (يذق جرساً عنده)

(يدخل الحاجب)

الحاجب : مولاي

ابراهيم : ابعث من يدعو لي سرحان النجدي

الحاجب : سمعاً يا مولاي (يخرج)

ابراهيم : إنه شاب شجاع سيحبك ، وقد بلوته فوجدته ممن يوثق به

بشير : ولكن كيف بلغ أم هذا الشاب عزمك على غزو الشام ؟

ابراهيم : لهذا حديث طريف يا بشير . جاءني غالية يوماً بابنها هذا

وهو غلام أثناء مقامى بنجد فقالت لي « هذا ابني الوحيد

قد وهبته لك ليجاهد معك في سبيل العرب » فشكرتها

وقلت هنا أبقيه لديك حتى يشتد ساعده . فما زال هذا

الغلام يكاتبني من يومئذ حتى استقدمته فقدم من نجد

(يدخل الحاجب)

الحاجب : بالباب حضرة الكولونل سيف يا مولاي

ابراهيم : ليدخل فإننا في انتظاره

(يخرج الحاجب)

قد بعثت اليه ليراك يا أمير الجبل

(يدخل السكولونل سيف)

السكولونل سيف : السلام عليكم

ابراهيم : وعليك السلام . أهلاً بصديقى سليمان

السكولونل سيف : لعل جئت فى الوقت المطلوب يا مولاي

ابراهيم : لا شك فأنت ممن يحافظون على مواعيدهم بالدقيقة

(للأمير بشير) أيسرك يا صديقى أن تعرف قائدنا

الفرنسى المسلم ؟

بشير : السكولونل سيف يا سيدى ؟

ابراهيم : نعم . . أتعرفه ؟

بشير : قد سمعت به . وبخبرته الحربية

ابراهيم : الأمير بشير الشهابى أمير جبل لبنان يا كولونل

سيف : « يصافح بشيراً » أهلاً . . تشرفت يا أميرى

(يجلس سيف إلى جانب بشير)

إبراهيم : سيكون السكولونل سيف عوناً لنا على فتح سوريا إن

شاء الله . أليس كذلك يا سيف ؟

سيف : أنا طوع يمينك يا مولاي

بشير : سيف ماض فى خير يمين !

ابراهيم : إنه يا بشير ليؤمن كل الايمان بالوحدة العربية

بشير : أتراها ممكنة يا جناب القائد ميسورة ؟

سيف : هي ياسيدي حركة طبيعية لا يعوزها إلا حسن التدبير وصدق

العزم لتبرز من عالم التفكير إلى عالم الواقع . مازلت بها

مؤمناً منذ سمعت النسر الفرنسي نابليون يقول بها

بشير : عجباً .. هل كان نابليون يقول بالوحدة العربية ؟

سيف : نعم لقد رأى نابليون بصيرته النافذة أن هذه الدولة

لا بد من شطرها شطرين وأن بلاد الضاد لأخرى أن

يستقل بها ملك عربي . وأن محمد علي باشا هو أولى الناس

بهذا الأمر . سمعته يقول هذا بأذني هاتين

(يدخل سرحان)

سيف : (يلتفت إليه) وهذا الفتى النجدي دليل حتى على إمكان

وحدة العرب

سرحان : السلام عليكم ورحمة الله

سيف : وعليكم السلام ورحمة الله

سرحان : هل دعوتني يامولاي ؟

ابراهيم : نعم ياسرحان، دعونا لك لتري ضيفنا العزيز أمير جبل لبنان

سرحان : (يصافح ابراهيم باشا فالأمير بشير فسيف)

(للأمير بشير) أهلاً بك ياسيدي

بشير : مرحبا بك يا بني . هنيئاً لك إجماب سيدى الباشا بك
وثقته فيك

سرحان : شكراً لك يا سيدى ، إني لفخور بثقة مولاي ابراهيم
ابراهيم : تفضل ياسرحان اجلس

سرحان : (يجلس) شكراً يامولاي

ابراهيم : أين كنت ياسرحان ؟

سرحان : كنت فى تدريب الجيش يا مولاي

ابراهيم : (سيف) أأنت راض عن سرحان ياسيف ؟

سيف : كل الرضى يامولاي ، لسكأنه يتعلم الفنون العسكرية
بالغريزة وهو اليوم أمهر رام وأكبر فارس

ابراهيم : لا غرو فقد ارتضع الشجاعة والفروسية من أمه البطلة

(يلتفت إلى سيف) كيف سارت شئون التدريب يا سيف ؟

سيف : سيراً حسناً يا مولاي

ابراهيم : كيف ترى الجندى المصرى ياسيف ؟ هل ينقص فى شىء
عن الجندى الأوربى

سيف : كلا يامولاي بل هو أصلب عودا وأصبر منه وأطوع

ابراهيم : أو ما تلقى عننا فى التدريب الحديث ؟

سيف : كل مستحدث صعب ، لكن كل صعب يامولاي على

الأيام يهون

ابراهيم : أتصدق ما قيل إنّ وداعة سكان الوادي لا تهيئهم للحرب؟

سيف : لا يامولاي فما هو الا بهتان وزور . أو لم يطرد أحسن

الملكسوس بهم ؟ أو لم يستولوا على الشام حتى أعالي

الفرات ؟ أو لم يدفعوا هجمات التتار عن الشرق العربي ؟

أو لم يقفوا سدا في وجوه الصليبيين ؟ إنما فقدوا الروح

الحيّة واستخذوا منذ خضعت مصر لملوك آل عثمان

ابراهيم : ليت شعري متى نستغنى بأبناء مصر عن عصابات الأكراد

وفرق الأرثووط ؟

سيف : ستري قريبا منهم ما يسرك يامولاي

ابراهيم : أو لست ترى أنّ الترك أشجع في المعمران وأمضى

على الأهوال ؟

سيف : ان الجنديّ المصريّ لشجاع ، ولكنّه ليس بالعتلّ الذي

يستمدّ شجاعته من غلظته وبلادة حسّه . وقد أعلنت حملته

البحرية إلى اليونان كفايته وكفاية أسطوله للعالم أجمع

بشير : لقد كان الغرم على مصر في تلك الحملة اليونانية وكان الغنم

للسلطان كدأبه . فلو كنتم رفضتم أن تعينوه في الحرب

اليونانية وغزوتهم سوريا إذ ذاك استنجازا لسابق وعده

لكان ذلك خيرا لمصر وللعرب

ابراهيم : ولكن لا تنس يا أمير الجبل أن الشهامة الإسلامية تأتي

علينا أن يستنجدنا السلطان على العدو المشترك فلا ننجاه
— بله أن نغتني الفرصة فنطعنه من الخلف

بشير : صدقت يا أمير النيل وليكنه لم يف بوعده لكم . ولا يستحق
النصرة من لا يوفى بالعهود

ابراهيم : أجل، بيد أنه وعدنا حينئذ مرة ثانية بضم الشام إلينا إذا
نصرناه على اليونان ولم نكن قد يئسنا إذ ذاك من
وفائه بالوعد

بشير : واليوم؟

ابراهيم : أما اليوم فليس بيننا وبينه إلا القتال حتى يفي لنا بما وعد
سيف : هل لي أن أقول كلمة بصدد الحملة اليونانية؟

ابراهيم : قل ما تشاء يا كولو نيل

سيف : أريد أن أقول إن مصر وإن خسرت في تلك الحملة ماديا
فإنها لم تخسر أدبيا بل أستطيع أن أقول إنها ربحت

ابراهيم : نعم قد أفدنا منها أن عرف الأبطال بطولة جيشنا ورأوا
بأسه في تلك الميادين

سيف : وكان النصر المحقق معقودا بلواء المصريين لو لم تقف دول
الغرب في صف اليونان

ابراهيم : (يتند) ويل للدول الغربية: ما أحلى وعودها لنا وما ألهبها
بصداقتنا ما احتاجت إلينا حتى إذا اشتبكنا مع إحداها

تألب سائرهما علينا ونبذت ما بيننا وبينهما من الصداقة
وراء ظهرهما

بشير : أما زلتم ترجون ياسيدي أن يفي السلطان لكم بوعده ؟
ابراهيم : لا أرجو ذلك فقد طالما نصحناه وهددناه فلم ينفع فيه
النصح ولا التهديد

بشير : إذن فماذا تنتظرون ؟
ابراهيم : لا نتنظر شيئاً إلاّ إعداد جيشنا واستكمال عدده وقد فرغنا
من ذلك أوكدنا وما استقدمناك من بلادك إلاّ لنرى
رأيك في هذا الأمر

بشير : أما من جهتي فما أظنكم تشكون أنني سأنصركم بكل ما أملك
من حول وقوة. إني أعدك ياسيدي وعداً جازماً بأن الجبل
كاه سيكون معكم على عدوكم
ابراهيم : شكرأ لك يا بشير . لاشك عندنا في نصرتك ولسكننا نريد
نصرة الآخرين

بشير : إنك تعلم ياسيدي أن الشام كله يش من ظلم الدولة وجور
ولاتها وأن مجيئكم فرج لهم فلا ريب أنهم سيكونون عوناً
لكم على حكامهم الظالمين

ابراهيم : ما رأيك في قبائل بادية الشام ؟
بشير : هؤلاء خير من يستنصر بهم على الدولة لقسوتها في معاملتهم

فإن يكادوا يسمعون بمقدمكم لمحاربتنا حتى يعرضوا أنفسهم

للقِتال معكم وناهيك بشجاعتهم وبلائهم في الحرب

أبراهيم : اذكر لي بعض القبائل الثائرة على الدولة هناك

بشير : جميع قبائل البادية في حكم الثائرة على الدولة إلا أن بعضها

أشد عليها من بعض

أبراهيم : أيها أقوى وأشد شكيمه على الدولة ؟

بشير : لعلها قبيلة عنزة

أبراهيم : أهى التى يدعى شيخها الشيخ عزام الفائز ؟

بشير : هى بهينها ياسيدي . لكأناك تعرفها وتعرف شيخها

أبراهيم : نعم جاءنا كتاب من هذا الشيخ يعرض علينا فيه نصرته

ونصرة قبيلته

بشير : ثقبهم لاء فإنهم موتورون من الدولة حاقدون عليها منذ

حصل بينهم وبينها خلاف فانتقامت منهم ومثلت بهم

تمثيلا فظيحا كاستلال السنهم وجدع أنوفهم . فاذا أعطى

لهؤلاء السلاح والذخائر فيكونون وبالا على جيوش الدولة

أبراهيم : ما رأيك في هؤلاء ياسيف ؟

سيف : لا شك أن هؤلاء سيكونون عوننا كبيرا لنا في وسعهم أن

يقوموا بمناوشات قيمة ويوقعوا الاحتلال في صفوف

العدو ويتعرضوا للقوافل التى تحمل مؤنه وذخائره

- ابراهيم : أجل . . لا غنى لنا عن هؤلاء
- سيف : ولكن مسألة المسائل هي عكاء
- ابراهيم : إن السكولونل سيف كثير الاهتمام بعكاء يابشير
- سيف : اعذرني يامولاي إذا أكرت الاهتمام بها فهي العقبة
- الكبرى التي ستقوم في سبيلنا فاذا ذللناها دان لنا الشام أجمع
- بشير : حقا إنها لمدينة منيعة وإن صاحبها ليحتمى منها بجمهة الأسد
- فحبذا لو استطعتم الاتفاق معه
- سيف : ياليت ذلك يكون. إذاً لكفينا هذه العقبة وكان ما وراء
- ذلك يسيرا علينا
- ابراهيم : لعلك تستطيع استمالته إلينا لما بينك وبينه من الصداقة
- القديمة يابشير أمانحن فقد ذهب جهودنا في استمالته سدى .
- وناهيك بالمساعدة التي قدّمها له سيدى الوالد حين شفع له
- عند السلطان لما غضب عليه وأقرضه والدى تلك الغرامة
- الكبيرة التي فرضها عليه السلطان . ولكن عبد الله كفر
- النعمة وأنكر الجليل
- بشير : ألم يسدّد القرض الذى عليه ياسيدى إلى اليوم ؟
- ابراهيم : كلاً لم يسدده ولن يسدده . وبما زاد غضب والدى عليه
- أنه رفض ما طلبه منه من إعادة الفلاحين المصريين الذين
- جمعهم من الصعيد للعمل عنده فهدده والدى بأنه سيذهب

بنفسه لأخذ الستة آلاف من الفلاحين زائداً عليهم
رجل واحد

بشير : « يضحك ، يعنى بالرجل الواحد عبد الله باشا نفسه ؟
ابراهيم : « يتسم ، نعم لا يعنى غيره
بشير : ما رأيكم لو كلمت عبد الله باشا فى الاتفاق معكم على أن
تسأحوه فى القرض الذى لكم عليه وفى الفلاحين المهاجرين
عنده وتضمنوا له البقاء فى ولاية عكاء ؟

ابراهيم : أما القرض فلا أحسب سيدى الوالد يتشدد فيه تشدده فى إعادة
الفلاحين المهاجرين وسأخذ رأييه فى ذلك ، وأما ضمان
البقاء له فى ولاية عكاء فقد عرضنا عليه ذلك من قبل فأبى
بشير : سأعرج عليه فى طريقى عائداً إلى لبنان وأكله فى جميع
ذلك وأكتب اليكم بما يكون منه

ابراهيم : افعل وإن كنت لا أظن أن والى عكاء يرجع إلى صوابه
إلا بالشدة

بشير : إذا لم يرجع إلى صوابه الآن فسيرجع إلى ذلك حين يرى
قواتكم تسير إليه

سيف : انه سيكلفنا ضرب الحصار عليه من البر والبحر وبدون
ذلك لا يمكن سقوط عكاء وهذا يقتضى زمناً طويلاً

ابراهيم : إن العزيمة الصادقة لتقصّر الزمن الطويل

- سيف : لقد عودنا عزمك يا مولاي أن يذل لنا المصاعب
- ابراهيم : علي الله اتكأنا وهو ناصرنا بحوله وقوته إن شاء
- بشير : أؤكد لك مرة أخرى يا سيدي الباشا أن الشام كله سيكون معكم ، وإني سأقوم بكم بكل ما أستطيع من الواجب ، وعسى أن يقدرني الله على خدمتكم بما يرضيكم
- ابراهيم : ذلك الظن بك يا صديقنا الخزبن
- سيف : قد عنت لي فكرة يا مولاي هي أن تبعثوا هذا الشاب الجندي ليرافق الأمير بشير إلى سوريا ولبنان فيستأنس بطبيعة تلك البلاد ويعرف مواقعها فر بما نحتاج إلى خبرته بذلك في المستقبل
- ابراهيم : لا بأس بذلك عندي إذا لم يثقل على الأمير بشير
- بشير : يثقل عليّ ؟ كلا يا سيدي الباشا . إنه سيكون لي نعم الرفيق في السفر ونعم الضيف
- ابراهيم : أتحب يا سرحان أن ترى قبلنا تلك البلاد ؟
- سيف : كيف لا يسر سرحان بذلك ؟ إنها ستكون سياحة ممتعة في تلك البلاد الجميلة
- ابراهيم : إذا فليذهب سرحان معك يا أمير الجبل . ولست بحاجة إلى أن أوصيك به فهو عزيز عليّ
- بشير : اطمئن من قبله يا سيدي فسيري مني كل بر ورعاية

ابراهيم : « يلتفت إلى سرحان باسمه ، احذر يا سرحان أن تنسيك بلاد الشام مصر »

سرحان : إن مصر لم تنسني نجداً يا مولاي فلن ينسيني الشام مصر
« يدخل الحاجب فيدنو من ابراهيم باشا فيساره بحديث »

ابراهيم : « للحاجب » دعه يدخل
« ينطلق الحاجب »

« ثم لبشير » سترى جاسوساً من جواسيس الدولة وهم فينا
كرجال النفاق بعهد الرسول عليه السلام ، يشنون بنا
ويذيعون أسرارنا للقوم وليس لنا من سبيل لتأديبهم .
أوه من هذا الزير أوه ! متى نزميه متى نلقيه؟

بشير : قريباً نخلعه عن أعناقنا بيديك

ابراهيم : إن شاء الله

سيف : إن شاء الله

« يدخل صابر بك ويحيى ابراهيم منحنيًا حتى يكاد يقبل الأرض »

صابر : سيدي . . مولاي . . أميري . . صباح الخير

ابراهيم : مرحباً بك يا صابر . تفضل

صابر : « يجلس بين ابراهيم باشا وبين سرحان » شكراً لك يا مولاي

للطفك يا مولاي بعبدك يا مولاي . . بموطيء نعلك

يا مولاي . لقد حضر العبد المملوك إليكم يا مولاي

ليرفع أسمى تهانئه القلبية إلى أعتاب جنابكم الفخيم يا مولاي

بمناسبة إنعام مولانا السلطان عليكم بأمانة مكة يا مولاي
وأنت يا مولاي جدير بهذا العطف الشاهاني الأكبر وبهذه
الرتبة التي لم ينلها أيُّ سواكم في جميع أنحاء المملكة العثمانية.

ابراهيم : إن هذه التهنئة أولى بها أن توجهها لأبي فهو أولى بها مني
إذ له فضلها لآلى

صابر : لا بل لكم يا مولاي لما وضع مولانا السلطان من الثقة
العظمى فيكم يا مولاي ، ولما لاح له من بطولتكم العليا
وكفايتكم الكبرى في كل الشؤون التي نيّطت بكم ،
فضلا عن ماضى عزمكم يا مولاي وكامل إخلاصكم
لمولانا السلطان

ابراهيم : حسبك يا صابر. إن هذه الرتبة أو غيرها مما هو أعظم منها
إذا أسندت لى فقد أسندت لأبي . . إني لا أملك فضلا
إلا ما تحدر منه إلىَّ ، وإذا ظن بعض الناس أن هذا يشير
التنافس بين الولد البر وبين أبيه العظيم فقد ضلوا والله
ضللا بعيدا

صابر : عفا الله عنكم يا مولاي فيما أسأتم بي الظن
ابراهيم : قد علمت أنك نقّال الأحاديث فانقل حديثنا هذا إلى
من تشاء

صابر : إنما جئت للتهنئة يا مولاي

ابراهيم : هم تهنتنى ؟ أظن أن أماره مكة ترضينى عن سلطانك ؟

لا والله حتى ينصف والدى ويعطيه حقه كاملاً غير منقوص شيئاً . وإن لم يفعل فإن السيف الذى سل من أجله فى نجد ما زال فى كفى لأبز به سوريا من يده

صابر : أعينك بالله أن تعصى السلطان يا مولاي

ابراهيم : إني لا أعصى سلطان مصر ، فأما سلطان اسطنبول فإن يعصنا نعصه

صابر : عفواً يا مولاي إذا قلت إنك شديد الوطأة على قومك

ابراهيم : منضياً ، يجب أن تتروى فيما تقول يا صابر ، فهاهؤلاء

الذين تذكرهم بقومى وإنما قومى العرب . إني لست تركياً

فقد جئت إلى مصر صدياً . حيث مصّر تنى شمس الوادى

وأحالت دمي فجري فى عروقي دماً عربياً

الفصل الثاني

في ضاحية من ضواحي عكا — في قصر اتخذ إبراهيم منزلاً له أثناء محاصرته الطويلة لمدينة عكا يتصل به — بما يلي عكا — المعسكر المصري الواقع وراء القصر . يظهر جزء من رواق القصر ويقع على يمينه الجانب الذي فيه غرفة نوم إبراهيم باشا على ارتفاع قليل من أرض الرواق . ويرقى إليها بسلم ينضى إلى دهليز صغير يوصل إلى الغرفة ولهذا الدهليز شباك يطل على الرواق . الوقت — في النصف الأخير من الليل —

يظهر أمام القصر من جهة اليسار ثامر وزيد وثلاثة آخرون من أبناء عمومة ثامر .

ثامر : اخفضنوا أصواتكم كيلا يسمعكم أحد
زيد : لم يخفى نعمان بعد لزيارة صديقه سرحان
ثامر : أخشى أن يكون أملنا قد ضاع في نعمان وأن الصداقة التي تظاهر بها لسرحان ليتوصل بها إلى قتل إبراهيم قد أصبحت صداقة حققة تمنعه أن يخون سرحان بقتل مولاه
زيد : لا شك عندي في هذا ، فقد نسي نعمان ثأر أبيه وافتتن بهذا النجدي اللعين

أحد نفر الثلاثة : ما أرى إلا أنكما ظاهتما نعمان ، فأمثله من ينسى ثأر أبيه
زيد : فما منعه إلى اليوم إذاً من إنجاز مهمته وهو يسمر كل ليلة مع سرحان في هذا الرواق إلى الهزيع الأخير من الليل

ثامر : على بضع خطي من الغرفة التي ينسام فيها إبراهيم باشا ؟
 ليس بعيد أن يكون سرحان أقنعه بما يسعى إليه
 إبراهيم باشا من إحياء الدولة العربية القديمة بضم بلاد
 العرب كلها تحت لواء واحد ، فلم يجيء هذا النجدي من
 بلاده إلا ليجاهد في سبيل هذه الفسكرة

أحد الثلاثة : ولكن ندمان كان يعرف هذا من سرحان وهو إنما نجح
 في الاتصال بسرحان واكتساب ثقته ومودته حين أوهمه
 بأنه عربي ثائر على الدولة من طرابلس الغرب . فكيف
 يجوز أن ينخدع ندمان وهو على بصيرة من حقيقة
 سرحان ؟ إن هذا لبعيد

ثامر : إني أعرف منك بشقيقي ندمان فهو شديد التأثر
 سريع التقلب

أحد الثلاثة : ولكنه كان أشدكم جميعاً حزناً على أبيه وحققاً على قاتله
 وقد أقسم ليقتلن إبراهيم ولو قتل في ذلك

زيد : لا تصدقه ولو أقسم ألف يمين فإنما هو جبان يهاب القتل
 ولو كنت في مكانه لبدأت بسرحان ثم ثنيت بإبراهيم

ثامر : أتنهم ندمان بالجبن ؟ والله إنك لأنت الجبان . فقد
 أمكنتك الفرصة بوادي الزراعة بعد اندحار الترك إذ
 انفرد الغازي إبراهيم باشا عن فرسانه فأضعت الفرصة
 من جبنك

زيد : لم يكن الغزاي منفرداً يومئذ يا ثامر . بل كان سرحان يراقبه من محل غير بعيد وقد ألقي نظرة كالسهم إلى حسبت بها أنه كان يعرف مضمير قصدي . فما كان مني إلا أن حدثت عن وجهه كيلا يرتاب بأمرى

ثامر : ماذا تخشى من ارتيابه بأمرك وقد أوشكت أن تبلغ غايتك ؟

زيد : خشيت أن أفسد عليكم الأمر

ثامر : فلقد أفسدت علينا الأمر بإضاعتك الفرصة

زيد : لو كنت في موضعي لما صنعت أكثر مما صنعت

ثامر : كذبت ! لو كنت في موضعك لحملت عليه فألحقته بأبي !

زيد : أتظن الفتك بأبراهيم أمراً هيناً يا ثامر ؟ لقد بلغني أنه

يباو الناقة الفرعاء بضربة سيف فيشطرها شطرين

ثامر : ليتته والله شطرك !

زيد : ثم سرحان ماذا كنت تصنع في سرحان ؟

ثامر : إن استطاع سرحان بعد ذلك أن يقتلني فليقتلني فقد

نجحت في غرضي

زيد : أتقول إن استطاع سرحان يا ثامر ؟ أما رأيته في وادي

الزراعة كيف أرى الأتراك نجوم الظهر وجندل أبطالهم

وحمل بفرقة على مدفعيتهم وهي تعذف بالنيران تطاير

من حوله ؟

ثامر : بل قد رأيت ذلك ولسكنك نسيت أن تذكر أنه لطمك في وجهك ؟

زيد : لطمني في وجهي ؟ من قال لك ذلك ؟

ثامر : (يضحك مستهزئاً) انت الذي قلت لي ذلك يا رجل . اما تستحي أن تجبن وتكذب ؟

زيد : (يصفر وجهه ويتلعثم) إن فعل ذلك فلأنه لم يعرفني فقد ظنني من عائلة الجند

ثامر : أجل ، ولو عرفك لسكنت أهون عليه من ذلك

زيد : (يستعيد ثباته) أتظنونني أسكت لسرحان على هذه الأهانة ؟ والله ما منعني أن أنتقم لشرفي منه إذ ذاك إلا خشيتي أن ينكشف أمرنا . والله لئن واجهت هذا النجدي يوماً لأخضبن سيفي بدمه

ثامر : كفي هذا يا زيد . لا تشغلنا بهذرك عما جئنا له

أحد الثلاثة : هذا شخص مقبل إلينا . . أظنه نعمان

آخر من الثلاثة : لعله شخص آخر قد جاء يتجسس علينا

ثامر : (يتأمل في الشخص القادم) كلا . . هذا نعمان وهذه مشيئته

أحد الثلاثة : نعم هذا نعمان بعينه

(يظهر نعمان)

نعمان : أنتم هنا . . . ما جاء بكم ؟

ثامر : (بلاهة المفضب) انظروا إلى هذا الغادر يسألنا ما جاء بنا

هنا كأن لنا ساحة أخرى لا يعلمها هو . فاعلم اذا أننا
جئنا لنفصل في الأمر الذي تسوَّفنا فيه من يوم إلى يوم

نعمان : ماذا تعنى يا ثامر ؟

ثامر : أعنى أننا سنتولى بأنفسنا القيام بالمهمة التى عجزت عنها

نعمان : من قال لك إني عجزت عنها ؟

ثامر : سواء عندي أن تسمي فعلك هذا عجزا أو لا تسميه .

كذلك . يجب أن يقتل الليلة قاتل فهذه النعسان وكفى

نعمان : لا ريب عندي أنكم بهوركم هذا تريدون أن تفسدوا الخطة
التي تعبت فيها

ثامر : لا خير في خطة لا تتم إلا بالتسوية

نعمان : انك لعل خطأ في تسميتك التأنى اللازم لنجاح الخطة
تسوية .

ثامر : (يتحرق غيظا) التأنى . . قاتل الله هذا التأنى . غدا يستولى

هذا الرجل على عكاء فلا يبقى لنا مطعم في الظفر به

نعمان : أمهاني يا ثامر بضعة أيام أخرى حتى يزداد سرحان
وثوقا بي فأنجح في عملي

ثامر : قد عرفتك يا نعمان . إنك تديرنا عن عملك يوما بعد يوم

لتضيع علينا الفرصة . إن هذا النجدي قد سحرك بآرائه
فأنساك ثار أيبك

نعمان : لا والله مانسيث ثأر أبي. إنما أتريث من أجل ثأر أبي
 ثامر : ماذا تنتظر بعد؟ أتبغى أكثر من أن تبيت على بضع
 خطوات من مرقد قاتل أبيك؟ أنتتظره حتى يجيء إليك
 بخنجره ويقول لك خذ هذا فاذهبني؟

نعمان : أمهلني يومين فقط يا ثامر
 ثامر : (غداً) كلا والله لئن مرت هذه الليلة المشؤومة ولم تقض
 حاجتنا فيها ليجدن في الدنيا مجنون يقتل أخاه من أبيه
 وأمه . أسمعك ؟

أحد الثلاثة : ويلك يا ابن عمي لا تقل هذا . . لا تسمعه من فك الأقدار
 ثامر : إن أصبح إبراهيم غداً في الأحياء فدع الأقدار تسمعه
 من في

أحد الثلاثة : لم يبق لك الآن عذر يا نعمان فأنجز الليلة مهمتك وتوكل
 على الله فقد يسهفك النجاح الليلة ولا يسهفك ليلة أخرى
 ثامر : يا نعمان . يا أخي يا ابن فهد النعسان أيجمل بك أن تتلهمي
 بمسامرة هذا النجدي ومجازبته أطراف الأحاديث وأشلاء
 أبيك معطشة في بطن الثرى تشكو من حر الصدى
 وتتمللي من حركات الجوى ؟ يا لعار القبيلة يا لشنار
 بني النعسان !

نعمان : حسبك يا ثامر حسبك. لقد أغمدت خنجرك المسعوم في
 صدر قتي موتور

ثامر : (يماثق أخاه نعمان) بل أطرت الرماد عن الجمر في قلب مسعور
أنت الآن أخى حقاً . ساحنى يا أخى إذ اتهمتكَ بنسيان
ثأر أيبك

نعمان : لقد عرفت الآن أن الحق معك يا ثامر : إن التسوية
لا يأتى بخير .

ثامر : أين كيس البن الذى معك يا زيد ؟

زيد : ها هو ذا عندى

ثامر : أعطه لنعمان

زيد : (يناول نعمان كيس البن) خذ يا نعمان

(يأخذه نعمان منه)

ثامر : أهد هذا البن اليمنى الفاخر لصديقك فسيفرح به واقترح

عليه أن يصنع قهوتكما الليلة منه . (يناوله كيساً صغيراً)

وخذ هذا المسحوق فاذا أخذتما فى احتساء القهوة فغافل

جليسك وضع شيئاً من هذا المسحوق فى فنجانهِ فسيغلبه

النعاس ويميل به أرضاً فقم حينئذ للأخذ بثأر أيبك

نعمان : انها لفكرة مدهشة يا ثامر

زيد : لقد هيا لك أخوك كل شيء يا نعمان فما بقى عليك إلا أن

تغمد خنجرك فى صدر نائم على فراشه . وسأكفيك أنا

هذا النجديّ صاحبك

- نعان : ما تقول يا زيد ؟
- ثامر : دعك منه . إنه يريد أن ينتقم من سر حان للصفحة التي نالته منه في وادى الزراعة
- نعان : إنه أجبن من ذلك
- ثامر : وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزالا
- زيد : ستعلمون أنى لست جباناً ولا أنا على ثأر
- ثامر : حسناً ، قد علمنا إنك لبطل الأبطال فاقطع عنا كلامك ودعنا فيما نحن بسبيله
- زيد : وقد علمت أيضاً أن كلامى لا يعجبكم فهأنذا سكت
- ثامر : (لزيد) خيراً صنعت .
- (للجميع) اسمعوا يا اخواني منى . ستبقون أنتم الاربعة مرابطين هنا لعل نعمان يحتاج اليكم ، وسأنتظركم فى الحىّ وأمر العشيرة أن تكون على أهبة . فإذا فرغ نعان من عمله فإيلحق بكم ولتنطلقوا معنا اليها تجدوا الخيول مسرجة تنطلق بنا الى الصحراء . أفهمتم ؟
- الجميع : نعم
- ثامر : (نعان) أعندك خنجرك المسموم ؟
- نعان : أجل هوذا عندى (يخرج الخنجر من بين ثيابه ويريه اياه)
- ثامر : (يماثقه) بارك الله فيك . . امض ياأخى واذكر أنك ابن فهد

نعمان : ثقب بأخيك يا ثامر

(يعنى نعمان جهة القصر)

ثامر : « للأربعة » ابتعدوا قليلا عن هذا المسكان لئلا يلاحظكم
سرحان من الرواق

« يتقهقر ثامر والأربعة معه وهم ينظرون الى نعمان حتى يتواروا عن الانظار
في يسار المسرح »

« يرقى نعمان الدرج حتى يصل الى الرواق فيسقط الخنجر من ثيابه ويقع على
الارض فيلتقلبه مضطرباً »

نعمان : ويلى ما أشأم هذا الفال! أترأه يسقط من كفى في حضرة
إبراهيم؟ . . لا يا ابن فهد تشجع

« يتجه الى يمين الرواق حيث يتوارى برهة عن النظارة ثم يعود ومعه سرحان »

نعمان : هل نام سيدى الباشا؟

سرحان : إنه أرق الليلة ولـسكنه نام قبيل الآن بعد أن أخذت
قسطى الوافر من النوم

نعمان : وأنا أيضا قد أخذت بنصيب وافر منه أول الليل

سرحان : إذن فلنسمر إلى الفجر فقد اشتقت إلى السمر معك بعد
أن انقطعت عنى هاتين الليلتين فأين كنت؟

نعمان : إنه الزكام ياسرحان قطعنى عنك فيهما

سرحان : وكيف أنت الآن؟

نعمان : الحمد لله بخير

سرحان : الحمد لله . . أجر وعافية . وما هذا الذى بيدك؟

نعمان : هدية يا سرحان أرجو أن تتقبلها مني
« يناوله كيس الن »

سرحان : « ينظر في الكيس ويشمه » هذا بن يمني جيد يا نعمان . أشكرك
على هديتك

نعمان : إن صديقا لي أهدانيه فأحببت أن أطرفك به لشغفك
بالبن الجيد

سرحان : والله لأصنعن قهوتنا الليلة منه . سأجىء بالبساط
والأدوات هنا فنصنعها قهوة فاخرة
« يذهب سرحان الى يمين المدرج ويتوارى »

نعمان : (يضع يده على صدره) يا للقلب المضطرب ! هذه ساعة والله رهيبة
لكأني بنفسى التى بين جنبي تبرا منى ! كيف أقتل ابراهيم
باشا ؟ أأقتله وهو منقذ قومي العرب ؟ وصديقي سرحان
كيف أحمله تبعات اغتيالى وغدرى ؟ ما عساه يقول اذا
وقع الأمر المخدور ؟ أأبجعه فى مولاه ابراهيم وفى صديقه
نعمان ؟ لكن كيف أترك قاتل شيخى يعيش ؟ قاتل فهد
النعمسان . . . قاتل أبى . آه قد يخاف المرء الشئ فتدفعه
الأقدار اليه معصوب العينين . وما الأقدار سوى الأصداء
التي تتردد فى جنبات النفس

(يعود سرحان حاملا معه أدوات القهوة وبساطا يفرشه على أرض الرواق)

سرحان : تفضل يا صديقي نعمان

نعمان : (يجلس على البساط) شكرا ياسرحان

سرحان : أمّا أنا فمُسلماً جالس هنا على طرف البساط حيث أكون قريباً من هذا الكانون

(يجلس سرحان على طرف البساط ويضع الكانون بجانبه خارج البساط . يفرغ شيئاً من الفحم في الكانون ويشعل حزمة من الحطب الرقيق عليه)

سرحان : (ينظر في وجه نعمان على ضوء اللهب) أراك الليلة واجماً يانعمان على وجهك آثار الاغتيال فهل تشكو من بأس ؟

نعمان : (يتظاهر بالتجلد والثبات) لا ياسرحان لا أشكو شيئاً .

سرحان : أتحاول كتمان أمرك عني يانعمان ؟ ألا تقول لي لعلّي أستطيع أن أسري عنك .

نعمان : أيّ أمر أكتمه عنك يا صديقي ؟

سرحان : إني قد صحبتك مدة تكفي لأعرف ما يدور بخلدك .

نعمان : (يزداد اضطراباً وامتقاعاً) إن كنت تعرف ما يدور بخلدی فقل لي ماهو ؟

سرحان : والله لا أدري ماهو ولكنني أعرف أنّ بك الليلة هما وأنك لست طلقاً كعادتك .

نعمان : (يسري عنه) أما يلّم بك الشوق أحياناً إلى أهلك بنجد ياسرحان ؟

سرحان : (يحرك الفحم في الكانون ويقلب أسفله أسفله ويشب النار بمروحة في يده)

بلى يانعمان قد تهزني الذكرى إليهم ولا سيما والدتي العجوز ، فهل نأبك الليلة شيء من هذا ؟

- نعمان : أجل ، ذكرت أهلى بطرا بلس فانتابنى ما ترى
- سرحان : « باسمآ » لعل لك حبيبة هناك هزك الشوق اليها
- نعمان : إن لى ابنة عم لا تظل سماء طرا بلس أجمل منها . وقد
أوشكت أن أتزوج بها لو لم يطلبنى الحاكم التركى لشيء
بالغه عنى فهربت من البلاد ليلا ولم يكن بينى وبين أن
تزف إلىَّ إلا بضعة أيام
- سرحان : (يضع ابريق المساء على الكانون لأغلائه) ما الشيء الذى بالغه عنك ؟
- نعمان : بالغه أنى أحرص القبائل على عثمانيان الدولة والامتناع
عن دفع الضرائب
- سرحان : هل كان ذلك منك يا نعمان ؟
- نعمان : إنما حرصت الناس على أن يطالبوا الحاكم بالعدل فى تقدير
العشر وأن لا يدع محصليه يفرضون على الناس كما يشتهون
فيأخذون منهم ربع الربيع أو ثلثه وقد يبلغ أحيانا إلى نصفه
- سرحان : لعل الحاكم قد ابتاع مجموع الضرائب والرسوم من الدولة
فهو يحصلها لحسابه ويشتهط فى ذلك
- نعمان : نعم فلا هم له إلا أن يبتز أموال الناس قبل أن يعزل بغيره
من يقدم للدولة عطاء أكبر
- سرحان : إن الدولة لتجرى على هذا الأسلوب فى جميع الولايات التى
تحكمها : يبتاع أحدهم الولاية بالثمن الغالى من دولته كما

يتقاضى أضفافاً أضفافه من دماء الشعب الذي ولّته
عليه ، ولسكن هوّن عليك يا نعمان . سينقضي هذا العهد
الذي يشكو العرب جميعاً منه

نعمان : متى ينقضي هذا العهد البغيض يا سرحان ؟

سرحان : سينقضي عندما يتّسم لولانا ابراهيم باشا طرد آخر رجل
منهم عن آخر شهر من الوطن العربيّ

نعمان : ليت شعري أيكون لبلادى نصيب من هذا الرجاء ؟

سرحان : ولم لا وما يجاهد ابراهيم باشا إلاّ ليحرّر أقطار العرب
عامة ؟ وتأكد أن الشام إذا فتحت له كان فتح غيرها من
البلاد العربية أمراً ميسوراً

نعمان : أفى نيّته أن يفتح طرابلس الغرب ؟

سرحان : لقد سمعته كثيراً ما يذكر لا طرابلس الغرب فحسب بل
المغرب كله إلى بحر الظلمات ، وما رفض والده العظيم محمد
على باشا ما كتب به إليه ملك فرنسا من اشتراك مصر معه
في فتح بلاد الجزائر إلاّ لهذا الغرض

نعمان : ألا ترى أن حرب الشام ستطول كثيراً يا سرحان ؟

سرحان : إن تطول بإذن الله فما لقينا جيوش الدولة في معركة إلاّ
هزمناهم . وقد لقوا في وادى الزراعة هزيمة منكرة ملأت
قلوبهم رعباً فلن يثبتوا لنا في وقعة بعدها . ولا تنس أن

أهالى البلاد معنا بأيديهم وقلوبهم . ولولا هذه المدينة
العنيدة عكاء لقد تمّ لنا فتح الشام قبل اليوم
(يلتفت الى ابريق القهوة وهو يغلى) قد أنسانا الحديث قهوتنا
يا نعمان

(يفرغ شيئا من البن فى الأبريق ومحموقا من القرنفل والهيل ويحرك المعلقة
فيه ثم ينزله من على السكّانون)

نعمان : صبّ قهوتك ياسرحان فاني مشتاق إليها

سرحان : لا تعجل يا نعمان . . حتى تهدأ وتروق

نعمان : ما أذكى عرفها وأطيب رائحتها

سرحان : وما أشهى مذاقها يا نعمان

(يطلع القمر من الأفق شيئا فشيئا حتى تسقط أشعته على الرواق فتنبه)

نعمان : (ينظر الى القمر) وما أجمل هذا القمر يطلع علينا ليسامرنا

سرحان : (يتسم) لكأنه أدرك موعد صبّ القهوة ليشاركنا فيها

نعمان : جزاء تأخيرك لصحبها ياسرحان

سرحان : لا تخف يا أخى فالقمر سمير كريم يعطى ولا يأخذ ويؤنس

ولا يوحش ويفى ولا يغدر

نعمان : فصحبها إذن فقد آذنتك القمر بذلك

سرحان : أجل والله الآن حين طابت وراقت

(يصب القهوة من الأبريق فيملاها فنجانين يقدم أحدهما لنعمان ويأخذ الآخر لنفسه)

نعمان : (يبتسم قهقهة) لقد ألقت قهوتك هذه حتى صرت لا أساوها
يا سرحان

سرحان : (يتهم) لشد ما يذكرني هذا السمر وهذا الليل المقمر
نجداً يا نعمان

نعمان : إيه حدثني عن نجد وأيام نجد يا سرحان

سرحان : حيث كنا نخرج في الليلة القمراء إلى البطحاء ونسمر تحت

النجوم على ود وصفاء . حيث كنا نغنى أغانينا البدوية

نرسلها كالخدااء ترددها الصخراء وتصفى لها آذان الفضاء .

حيث كنا نفتش البطحاء وقد بردت حبات الرمل بها إلا

ما يرسله جوفها من دفء شهى يحدث عن أشواق ذكاء

نعمان : ما أحلى كلماتك يا سرحان وأشبهها بالشعر

سرحان : ياليتني كنت شاعراً فأعبر عما يضطرم بين جواني

نعمان : من ذكرى نجد يا سرحان ؟

سرحان : أجل من ذكرى نجد

نعمان : (يبتسم) ومن ذكرى الشَّماء حبيبتيك

سرحان : (يتهم) وهل نجد عندي إلا الشَّماء ؟ ألا تشعر مثلي يا نعمان

بأن طرابلس الغرب ما هي إلا ابنة عمك ؟

نعمان : بلى يا سرحان هذا ما أشعر به

سرحان : أه يا نعمان إني لأكاد الآن أطير شوقاً إلى نجد وإني

لأشعر بحاجة إلى الغناء والترنم

نعمان : فما يمنعك من ذلك يا سرحان؟ إني لأشتهي أن أسمعك تغنى
كما غنيتنى ليلة قصيدتين رقيقتين فى الشوق إلى نجد .

سرحان : أأعجبك غنائى تلك الليلة يا نعمان ؟

نعمان : كيف أصف لك طربى لذلك الغناء ؟ لكأنى كنت والله
أسمع نبضات قلب الصحراء من ثناياه

سرحان : ولكنى أخشى يا نعمان أن أوقف مولاي إبراهيم .

نعمان : صدقت ، ولكنك تستطيع أن تخفض به صوتك فلا يسمعه
أحد غيرنا ، فدعنى أتول عنك علاج القهوة لتفرغ لغنائك
(يقوم نعمان من محله ويجلس فى محل سرحان ويجلس سرحان فى محل نعمان)

سرحان : طاعة لك يا صديقى نعمان .

نعمان : (بهلا فنجانا من القهوة لسرحان) اشرب هذا الفنجان أولا ثم
ابتدىء فى الغناء .

سرحان : (يشرب القهوة ويأخذ فى الدندنة ثم يغنى)

ألا أصبا لنجد متى هجرت من نجد

لقد زادنى مسراك وجدا على وجد

أأن هتفت ورقاء فى رونق الضحى

على فتن غرض النبتات من الرند

بكيت كما يبكى الوليد ولم تكن

جليدا وأبديت الذى لم تكن تبدي

وقد زعموا أن المحب إذا دنا

يمل وأن النأى يشفى من الوجد

بكل تدأويننا فلم يشف ما بنا
على أن قرب الدار خير من البعد

على أن قرب الدار ليس بنافع
إذا كان من تهواه ليس بذى ود

نعمان : أحسنت وأطربت ياسرحان فبحياتي عليك إلا ما غنيت
الآيات الأخرى

سرحان : أشعر ببعض القلق من قبل مولاي إبراهيم . فسأجوس
خلال غرفته لأستوثق من نومه .

نعمان : لا أحسب صوتك الخسافت يصل إليه . ولسكن لا بأس
أن تستيقن من ذلك إن شئت

(ينهض سرحان ويتوجه إلى بين الرواق حيث يغيب)

نعمان : هذه فرصة طيبة لأضع المرقد في فنجان

(يخرج كيس المسحوق من جيبه) ولسكنها خيانة والله لصديقي منى .

أترأه أحس بشئ من هذا حين قال إن القمر سمير كريم
يعطى ولا يأخذ ويفى ولا يغدر ؟ ويل أيثق بى وأخونه

وفى لن وأعد ربه ؟ غير أنى قد وعدت ثامرا الليلة بإفاد

المهمة وهو قاتلى لا محالة إن لم أفعل .

(يضع المرقد في فنجان سرحان ويحركه فيما بقى من القهوة)

سامحنى ياسرحان

(يعود سرحان ويجلس فى محله)

نعمان : كيف وجدته ياسرحان ؟

سرحان : الحمد لله . . وجدته نائماً على سريره .

نعمان : قد قلت لك إن صوتك لا يبلغه .

(يصب من الابريق في فنجان سرحان فيملاؤه) اشرب هذا ثم غن

سرحان : (يشرب القهوة ثم يبدأ في غنائه)

قفوا ودّعوا نجداً ومن حل بالحمى

وقلّ لنجد عندنا أن يودعنا

بنفسي تلك الأرض ما أطيب الربا

وما أحسن المصطاف والمتربعا

وليس عشيّات الحمى برواجع

عليك ولكن خل عينيك تدمعا

بكت عيني اليسرى فلها زجرتها

عن الجمل بعد الحلم أسبلتا معا

(يأخذ النعاس يداعب جفنيه ويضمحل صوته شيئاً فشيئاً)

وأذكر أيام الحمى ثم أنشئ

على كبدي من خشية أن تصدعا

(يترنح يمينا وشمالاً وعيناه مقلتان بالنعاس فيدنونه نعمان ويسنده ثم يتيممه

على فخذه وهو ما يزال يترنم بغنائه بصوت ضعيف حتى انقطع عنه وغرق في

سبات عميق)

نعمان : (يحركه) سرحان سرحان ! (لا يجيب سرحان)

ياله من سبات عميق . قم يا نعمان . . قم لتأر أهلك

(يضع رأس سرحان على ردهائه في الأرض ، وينهض مضطرباً يتلفت يمينا وشمالاً)

زيد : (يظهر في البقعة التي كان فيها مع نادر وبني عمومته كالمجنس)

هنا قد نام النجديّ اللعين . ويل له مني لأقتلته الليلة .

نعمان : (واقفا يتردد بين الاقدام والاحجام) كيف أقتل ابراهيم ؟

أأقتله وهو منقذ قومي العرب ؟ يا للجرم الأكبر .. يا للجرم
الأبد . وصديقي سرحان هذا الصديق الكريم ما ذنبه الىّ

فأحمله غدا هذه التبعة العظيمة ؟ لا يا نعمان .. لا تفعل ،

إنك لترتكب جرما جسيما إذ تخون صديقا كريما

وتقتل بطالا من أبطال قومك عظيما ، من أجل أب قد

طواه الثرى واستحال عظاما رميا .

(يبدو له شبح أبيه أمامه)

ماذا أرى ؟ من هذا ؟ أبي فهد النعسان ! يا لله كيف قام من

قبره ؟ لا يا أبت لا .. لا تخفني بوجهك هذا الشاحب

الهزيل وشعرك هذا الأرجوانيّ يقطر منه الدم !

زيد : (في رقبته الأول) عجباً .. لا أرى أحدا مع نعمان .. من

ذا يخاطبه ياترى ؟

الشبح : أخاف ابني مني ؟ ويل .. أنت سببت لي هذا يا ابراهيم

إيّاك يا نعمان أن تنسى ثأري .

(يكشف عن صدره) انظر يا نعمان إلى هذه الطعنة في

صدرى .. ها هنا طعنوني . وهنا مزقوا أحشائي فسال

تتدلى على ساقىّ .

- نعمان : (يغمض عينيه) يا للهول !
- الشيخ : انظر الى حلقى .. هنا ذبحونى .. هنا قطعوا الأوداج منى
فأنشأ رأسى يخفق على كتفى !
- نعمان : يا للهول المنظر .. يا للفظاعة !
- الشيخ : هيا أعدّ خنجرك .. هيا امش معى الى قاتل أهلك ..
هيا اتبعنى .
- نعمان : (يسل خنجره) سمعنا .. ساتبعك . (يلتفت الى سرحان) وداعا
يا سرحان .
- « يتقدم الشيخ فيتبعه نعمان حتى يتواريا عن الأنظار »
- زيد : « يقصد نحو القصر حتى يصل الى طرف الرواق » هذا والله جميل .. نعمان
يقتل ابراهيم ، وزيد يقتل سرحان .
- (يسل خنجره) هل أطعنه بالخنجر ؟ .. لا لا .. ربما يصحو
فيطوقنى بيديه . ولكن سأطعنه بالرمح ليعصمنى
منه طوله .
- (يغمد خنجره ويقبض على رمحه بيمينه)
- نعمان : « يبدو من شباك الدهايز الموصل الى غرفة ابراهيم باشا — يسمع الحركة
فيطل فيرى زيدا يقترب من سرحان والرمح فى يده »
- لعنة الله عليك يا زيد، تقتله وهو نائم . تبالك يا جبان !
- زيد : (يلحظه شررا) لا شأن لك بى .. امض لشأنك .
- نعمان : (يسبح) سرحان ! سرحان ! اتنبه ياسرحان !

(يسدد زيد رشفه ليطعن به سرحان)

نعمان : سرحان ! انتبه يا سرحان !

(يرتاع زيد فتصيب طعنته يد سرحان اليسرى فيصيب مذعورا)

سرحان : (يفرك عينيه) ويل لك من أنت يا هذا ؟

زيد : (يسدد الرمح اليه ليطعنه في صدره) خذها يا تعيس الخنجر قلن تعرف من أنا .

سرحان : (يحبس عن الطعنة ويهجم في لمح البصر بنخجره على زيد فيلقيه صريحا على الأرض)

بل خذ هذه يا قصير العمر ! سأعرف من أنت جثة هامدة !

(يظهر شخص ابراهيم باشا خلف نعمان من الشباك)

ابراهيم : عجبا . . . ليس هذا سرحان . . . ماذا تصنع هنا يا فتى ؟

نعمان : (يستدير إليه) جئت يا غريمي . . . فذق هذا الخنجر المسموم

(يهجم على ابراهيم باشا بنخجره ولكن ابراهيم يتلقى الطعنة بالقبعص على يده)

ابراهيم : ويل لك . . . من أنت ؟ كيف أتيت هنا ؟ (يمر نعمان معه لينزل به الى الرواق)

سرحان : (يتلفت يمينا وشمالا باحثا عن نعمان) نعمان ! أين أنت يا نعمان ؟

عجبا . . . أين ذهب ؟

(يظهر على الرواق وباحدى يديه خنجر نعمان والاخرى على يد نعمان يحمره جراً)

سرحان : (مدهوشا) مولاي

ابراهيم : ما هذا يا سرحان ؟ كيف جاء هذا الفتى الى مخدعي والخنجر

في يده ليقتلني ؟ أين يا حارسى كنت ؟

سرحان : يا ويل أبى، أهذا نعمان ؟ أينوى نعمان هذا الجرم العظيم ؟
أجندت يا نعمان ؟ كيف جرؤت على هذا ؟

إبراهيم : (ينظر الى زيد الصريع على الارض) من هذا الفتى المطعون ؟

سرحان : لا أعرف من هو يا مولاي . . لقد جاء يقصد قتلى

زيد : أنا زيد من أنصارك يا مولاي، أتيت لأحبط هذا التآمر
عليك من سرحان وهذا الفتى لا غتيال لك، فعاجلنى هذا بطعنة
من خنجره فوقعت كما ترى . ولسكنى سأموت قرير العين
لأنك نجوت من كيدهما

سرحان : كذبت يا جبان

(يرم أن يظهر عليه) أأنك لحيّ بعد؟

إبراهيم : دعه يا سرحان لا تمسه

زيد : إنما رام قتلى ليخفى هذا السر عليك

إبراهيم : ما قولك يا سرحان ؟

سرحان : ما أحسب مولاي إبراهيم يصدّق شيئاً من هذا

إبراهيم : إذن فقل لي كيف أذنت لنعمان هذا أن يقصد مخدعى
والخنجر فى يده؟

سرحان : إني اتخذته صديقاً فيك ، وفى العرب ، وما خطر قط ببالي
أنه سيحاول يوماً هذا الجرم الكبير

إبراهيم : أجعلت مكانى سمرّاً لكل من هبّ ودبّ؟

سرحان : أنا معترف بالخطيئة يا مولاي ، فأوقع بي من عقابك ما أستحق
 نعمان : لا تعاقبه يا مولاي فهو بريء وإني أنا المذنب . أنا الذي
 اتصلت به وخذعته بهداقتي وقد أسقيته الليلة المرقدة
 لأدرك ثأر أبي منك

ابراهيم : مني أنا يا هذا ؟ من يكون أبوك ؟

نعمان : فهذه النعمسان

ابراهيم : (يلتفت الى سرحان) فهذه النعمسان ! أتأني بأن فهذه النعمسان
 هنا عندي ؟

نعمان : كان لا يدرى أني ابنه يا مولاي ، فقد أوهمته أني عربي من
 طرابلس الغرب

زيد : لا تصدقه يا مولاي فإنما يريد تبرئة شريكه في الجريمة .
 ولو لم يشغلني بصياحه من الشباك لأثبت رمحي في هذا
 المجرم فأرحت الوجود منه

نعمان : اسكت يا وغد

زيد : سأسكت عما قريب إلى الأبد ، ولسكنكما ستلقيان جزاء
 جريمتكما

(يهجم الرجال الثلاثة من أبناء عمومة ثامر على ابراهيم ويحيطون به)

سرحان : « ينفخ في صفارته للاستنجاد »

نعمان : وهو في قبضة ابراهيم باشا ، أرسل يدي يا مولاي . والله
 لأدفعنّ دوزك

ابراهيم : (يجعل ظهره الى الجدار . ونعمان في قبضة يده) ويلكم ما جاء بكم ؟
أحد الثلاثة : أجلك !

سرحان : (يهجم عليه فيصرعه على الأرض) بل آتجالكم حانت !
(يدنو الثاني ليطعن ابراهيم باشا برمح فيدفعه نهبان برجله فينحزحه بعيداً)

الثاني : لعنة الله عليك يا نعمان !

نعمان : (يرسله ابراهيم باشا من قبضته) بل لعنة الله عليك وعلى من
أرسلك !

الثاني : (يحاول طعن ابراهيم باشا مرة أخرى فيطوقه نهبان بذراعيه من خلفه ويقبض
بيده على وسط الرمح) ويلك ، أتمننى من أن آخذ لك بثأر أبيك ؟

نعمان : نعم أمنعك وإن أبيت قتلتك

الثالث : (يهوى بسيفه على ابراهيم باشا) لا نجوت إن نجوت منى
(يحيط ابراهيم عن ضربته فتقع على الجدار ويلكمه على وجهه بجمع يده فيلقيه
على الأرض ويذهب ناحية زيد ليأخذ حربته فاذا زيد يحاول طعنه فيركله
ابراهيم برجله فيقضى عليه ويأخذ منه حربته فيطعن الصريع وكان قد قام وحمل
بسيفه على ابراهيم)

سرحان : (يقوم من على خصمه وقد انتزع سلاحه منه فيقتله به) خذ من يد
تزرأيل

(ينحرف الى جهة نعمان وخصمه وهما يتنازعان الحربة فينثرهما منهما)

نعمان : (ما يزال ضاماً خصمه من خلف) اقتله ياسرحان

الثاني : عار عليك يا نعمان أن تأمر بقتل ابن عمك لا لذنوب
ارتكبه إلا أنه أراد أن يعينك على الأخذ بثأر أبيك

نعمان : قد أنذرتك أن تكف عن هذه المعونة وتمضى لسبيلك فأبيت
 الثاني : إن لم يندبهمك إلاخذ بشار أيبك الآن فأجدر أن لا يهمنى
 أنا، فدعنى أنصرف لسبيلي
 ابراهيم : دعه يا سرحان لا تقتله . . ما أرى إلا أن يقال هذا
 الرجل نصيباً من الحق

(يقبل اثنا عشر جندياً من الحرس مسرعين)

ابراهيم : (يلتفت الى نعمان) أرسل ابن عمك هذا
 نعمان : (يرسله) سمعاً يا مولاي

(يصل الجنود الى الرواق فيرفعون أيديهم بالتحية)

أحد الجنود : هل من حادث يا مولاي ؟
 ابراهيم : لا شيء . . احمّلوا هذه الجثث وأبعدوها عنا
 (تحمل الجثث الثلاث كل جثة يحملها اثنان)

ابراهيم : (يشير الى ابن عم نعمان) واصرفوا هذا الرجل من هنا ولا
 تمسوه بسوء

(للرجل) انطلق إلى قومك فبلغهم أنى عفوت عنك

الرجل : شكراً لك يا أمير مصر . . لن أعين عليك بعد اليوم
 (يمضى الرجل يرافقه ثلاثة من الجنود)

ابراهيم : (لبقية الجنود الذين حضروا) انطلقوا الى المعسكر فأيقظوا
 السكولونل سيف والأمير عباس وأحمد بك المنيكلي
 ليحضروا حالا

الجنود الثلاثة : سمعاً يا مولانا (يمشون)

ابراهيم : (لسرحان ونعمان) بارك الله فيك وفي صديقك ياسرحان .

سرحان : أنا في خدمتك الدهر يا مولاي العظيم .

نعمان : الحمد لله الذي نجاك ونجى بك يا مولاي يا أمير العرب .

ابراهيم : (لنعمان) إن أمرك يا فتى لعجيب .

نعمان : والله الذي لا اله إلا هو لقد أمسيت يا مولاي أحب الناس

إلى . إن سرحان مازال يذكر لي آمالك في توحيد العرب

وإحياء سوء ددهم حتى كاد ينسيني أن شينخي من قتلاك .

ابراهيم : اقتصد في يمينك فاني لم أزل قاتل أبيك .

نعمان : لقد احتسبت حياة أبي في سبيل حياة العرب . رحم الله

أبي ، لو عاش حتى علم حقيقة مسعاك لرجوت أن يكون

نصيرا لك ، ولكن والى عكاء خدعه إذ أوهمه أنك

تسعى لتشيت أقدام الترك في البلاد .

ابراهيم : ما يدريك أنني لست كما يقول والى عكاء ؟

نعمان : هيهات يا مولاي أن يشك اليوم أحد في مسعاك . لقد وضح

الصبح لدى عيني .

ابراهيم : فأين كانت عيناك حين جئت تحمل لي الموت في يمينك ؟

نعمان : كاتنا معي يا مولاي ، ولكن ثامرا أعماهما — أعمى

الله عينيه .

ابراهيم : من ثامر هذا ؟

نعمان : هو أخى وشيخ القبيلة بعد أبى . قد رابه تسويفى للجريمة
من يوم إلى يوم فأقسم ليقتلنى غدا إن لم أنفذها الليلة .
وانى والله ما حملت الحنجر إليك إلا وأنا أتمنى أن يقع
من يدي أو يرتد في نحري .

ابراهيم : من هؤلاء الذين هاجمونا الليلة ؟

نعمان : رجال من بنى عمومتنا يا مولاي .

ابراهيم : أين كان أخوك ثامر .. لم لم يجرى معهم ؟

نعمان : كان فى الحى ينتظرنا أن نلحق به بعد ارتكاب الجريمة .

ابراهيم : ألا ترى مطمعا فى استرضائه واستمالته اليما ؟

نعمان : ما إخاله يكف عن محاولته الأثيمة وتحريضه العشيرة على
الآخذ بالثأر .

ابراهيم : (يطرئ منهية ثم يقول) ما أراك إلا صادقا فيما تقول فما
تظننى صانعا بك ؟

نعمان : إن تعاقب فعدل منك يا مولاي وإن تعف عني فأنت
لذلك أهل .

ابراهيم : قد عفوت عنك فاذهب حرا أين شئت .

نعمان : شكرا لك يا مولاي ولكنى لا أستحب عفوا يقصينى عن
خدمتك، فهل لى أن أقاتل معك حيثما قاتلت . ولعل أدفع

عنك كيد أخى ورجاله فانى أعرفهم دونك .

ابراهيم : ما رأيك فيه ياسرحان ؟

سرحان : لا أستطيع أن أشير عليك به بعد أن خدعنى هذه الخدعة
الكبرى يا مولاي .

ابراهيم : ولستنى أثق به لأنه لا يندفع مثلك ياسرحان .

سرحان : أتغفوا عنه يا مولاي ولا تغفوا عني وهو الذى أوقعنى
فى غضبك ؟

ابراهيم : سأوجّل العفو عنك ياسرحان حتى ندخل مدينة عكاء غدا
إن شاء الله .

سرحان : غدا . . . أقررت الهجوم غدا يا مولاي ؟

ابراهيم : نعم .

سرحان : (تهلل اسأريه) يا بشرى ! والله لا كوننّ أول رجل فى
جيشك يفتتحهم السور .

ابراهيم : (مبتسما) أنت لها يا ابن غالية .

(يقبل الأمير عباس باشا والى الكولونل سيفواحد المنيكى بملابسهم الرسمية)

عباس باشا : (لزميليه الضابطين) هذه آثار الدم على الأرض .

سيف : نعم دماء الثلاثة الذين قتلوا .

احمد المنيكى : أجرت معركة هنا ونحن لا نعلم ؟

سيف : (لابراهيم باشا) خير يا مولاي .

عباس باشا : ماذا حدث يا عم ؟

ابراهيم : حادث بسيط . . جماعة من الأشقياء أرادوني بسوء
فكفاني الله شرهم بهذين البطلين (يشير إلى سرحان ونعمان) .

سييف : (يصافح سرحان ثم نعمان) امدد يدك ياسرحان . . وأنت يا بطل .
عباس باشا : (يصافحهما أيضا) بارك الله فيكما .

احمد المنيكلي : (يصافحهما) أهنتكما .

سرحان ونعمان : (على وجهيهما آثار الخجل) شكرا .

احمد المنيكلي : ولكن كيف جاء الأشقياء هنا ؟

عباس باشا : نعم . . كيف أمكنهم ذلك ؟

ابراهيم : لا تسألوا عن هذا الآن فسأقصه عليكم غدا إن شاء الله في
قصر عبد الله باشا بعكاء .

الضباط الثلاثة : (ينظر بعضهم إلى بعض) غدا بعكاء !

سييف : أينوى مولاي الهجوم ؟

ابراهيم : نعم ولهذا دعوتكم الآن . أين خريطة المدينة أهى معك ؟

سييف : (يستخرج الخريطة من جيبه الداخلى ويقدمها لابراهيم باشا)

نعم يا مولاي هذه هى

ابراهيم : (يتناولها وينشرها معتمدا بها على حائط الرواق — ينظر فيها مليا)

تعال ادن منى يا سييف .

سييف : (يدنو منه) مولاي .

ابراهيم : انظر ياسيف ألسنت ترى أن هذه النقطة صالحة لنهاجم سور المدينة منها ؟

سيف : حقا يا مولاي فهذا أقصر سخط إلى كبرى الفتحات الثلاث التي أحدثتها مدافعنا في السور . . . وليكن . .

ابراهيم : وليكن ماذا ؟

سيف : أرى يا مولاي أنه لم يحن وقت الهجوم بعد .

ابراهيم : لم يحن وقت الهجوم بعد ؟ أنبقى إذا نصف عام آخر حتى نفتتح هذه المدينة ؟ لا ياسيف .

سيف : إنَّ مآلها التسليم يا مولاي حين يطول عليها الحصار وينفذ فيها القوت .

ابراهيم : ما أحسب هذه المدينة يتفد منها القوت ولو حاصرها عامًا كاملاً .

سيف : صبرا قليلا يا مولاي . .

ابراهيم : لن أصبر أطول مما صبرت . لقد أوشكت الليلة أن أغرق في شبر ماء من طول مقامى في هذا القصر .

سيف : تعنى حادث الليلة يا مولاي . . حماك الله من كل سوء .

عباس باشا : كيف جرى هذا الحادث يا عم ؟

ابراهيم : ستعلم ذلك يا ابن أخى غدا فى عكا . وما أحسبه إلا إذانا من الله لنا بالهجوم .

- سيف : ولسكن في الهجوم غداً شيئاً من المجازفة يا مولاي .
- ابراهيم : إن من النجاح مالا يدرك إلا بالمجازفة .
- سيف : إن المدينة يا مولاي مازالت أمتع من أن يخير عليها الجيش وإن مدافعتها سوف تحصده حصداً .
- ابراهيم : (متبرماً) كفى نقاشاً وتشبيهاً يا سيف .
- سيف : إذ كر يا مولاي أنها أعيت قبلك صرامة نابليون .
- ابراهيم : (يحمر وجهه غضباً ويدق الرمح الذي بيده على الأرض) دعني من نابليون فاني إبراهيم !
- (يصمت الجميع هنيهة)
- سيف : سامحني يا مولاي إن أثرت غضبك فما هو إلا الرأي الذي عودت عليه رجالك . وإني بعد لعبد مطيع لك .
- ابراهيم : (يبدأ غضبه) هذا ما يقتضيه الرأي يا سيف . انك تعلم أن الأتراك سيهاودوننا بأكبر جيش لديهم فلن يحدوا قواي حينئذ شطرين .
- سيف : رأيك الرأي الأعلى يا مولاي .
- ابراهيم : (يضرب على صدر الكولونل سيف) عشت يا سيف ، عشت يا زميلي القديم .
- سيف : عبدك الدهر يا مولاي .
- ابراهيم : لن تعجزني عكاء وأنت مهي .
- سيف : شكراً يا مولاي .. شكراً .

ابراهيم : توكلوا على الله يا أبطال. إن صوت النصر ينادينا من

أفواه تلك الشجر التي في السور. ألا فاسمعوه ألا فلبوه !

الجميع : (أصوات) سمعنا ولبيدنا سمعنا ولبيدنا ! لبيك كلنا طوع يدريك !

ابراهيم : ليهب الآن الجيش كله واختاروا أشجع فرسانه ليكونوا

في طليعة المهاجمين : وستحملني فرسى بينهم والله معي .

الجميع : الله ونحن معك .

ابراهيم : (يلتفت إلى سيف) وعلى رجالك ياسيف أن يحمونا بنيرانهم

من حفافينا ريثما ننفذ الأسوار ونقتحمها بإذن الله

فاتحين .

سيف : سمعنا يا مولاي . . لترعك عين الله .

الجميع : لترعك عين الله .

ابراهيم : (ينظر لحاة إلى الأفق) الله أكبر ! انظروا يا أبطال النيل

ها هو ذا الفجر قد طلع .

(ينظر الجميع إلى الأفق)

إن تطالع شمس اليوم حتى نفتح تلك التي ارتد عنها نابليون !

إن الله لا يرضى أن تفتح هذه البلاد لغير العرب .

الفصل الثالث

في سهل قونية في اليوم التالي لمعركة قونية التي انتصر فيها
ابراهيم باشا انتصارا حاسما على الأتراك . بجانب من المعسكر
المصري يظهر فيه على يسار المسرح جانب من خيمة ابراهيم باشا
يشتمل على هو استقبال كبير وغرفة نوم يفصلها عن البهو باب واسع
يظهر سرحان في الزاوية اليمنى من المسرح خارج الخيمة

سرحان : أين كنت يا صديقي نعمان ؟ هلمَّ إلىَّ -- ههههه أنتك --
هههه أرض العرب .

نعمان : (يقبل من يسار المسرح فيعانقه) اليوم تشرَّ العين

سرحان : ويحيى القلب

نعمان : ويصفو العيش

سرحان : عشت يا سهل قونية . فيك قصصنا ظهر العدو فلن يكون له
على بلاد العرب بعد اليوم سلطان .

نعمان : أتدرى كم قتل منهم وأسر ؟

سرحان : أخبرني السكولونل سيف بأن أسراهم يهاشون حوالى ستة
آلاف وأن قتلاهم ضعف هذا العدد أو أكثر

نعمان : سبحان الله . . أتمَّ ذلك كله في سبع ساعات ؟

سرحان : أجل ولكنها سبع ساعات في طولها كسبع ليال . لقد
رأيتني وأنا أقاتل عن يمين مولاي ابراهيم باشا وهو يحرِّض

الصفوف ويضرب ضرباته في أبطال القوم وقد التحم
الجيشان وغربت الشمس واعتكر الليل فما يعرف بعضنا
بعضاً إلا بالنداء حتى انهزم القوم كأننا كنا في حلم. ومن
يصدق قط ان الجيش المصري لم يخسر بعد هذا كله إلا
ثمانمائة بين قتيل وجريح ؟

نعمان : آمنت بالله وأيقنت أن النصر بيده يؤتاه من يشاء
سرحان : لاريب في ذلك فقد كنا أقل عددا منهم في كل معركة
هزمناهم فيها ولكن لا تنس ان الجيش بقائده
نعمان : صدقت . . ليس في الدنيا بطل كإبراهيم باشا . ولا عزم
أَمْضَى من عزمه

سرحان : ألا تعلم يا نعمان أنه ليس بيننا وبين اسطنبول الآن إلا
مسيرة خمسة أيام ؟ آه لو تعلم أمي أي انتصار مجيد شهد
ابنها اليوم للعرب . إذن لقل عندها ما باعته من حليها
لتجهزني إلى مصر

نعمان : (يظهر عليه التأثر) وددت لو أن أبي لم يقتل ياسرحان حتى
شاهد استقلال بلاد العرب اليوم . إذن لفدى إبراهيم
باشا بمهجته وبأرواح كل بني النعسان

سرحان : مامضى فات يا نعمان فدع عنك التحسر والذكرى . دعنا
نطرب . دعنا نتهب صفوف هذا اليوم . هذا يوم تعتق من
ذها أوطان العرب . هذا يوم يرجع من مجدنا ما ذهب

هذا يوم بسم الثنايا وضىء الشنب . فخره لؤلؤ والضحى
فضة والأصيل ذهب !

نعمان : بعض هذا الفرح ياسرحان ، فمن يدري ماذا تنضم الأقدار
لنا في هذا اليوم ؟

سرحان : دع عنك التشاؤم يانعمان بيوم يزهر بالآمال

نعمان : إني لحت أخى ثامرا في المعسكر هذا الصباح

سرحان : ماذا تخشى منه ؟

نعمان : لا أخشاه على نفسي وإنما أخشى أذاه على مولانا إبراهيم

باشا . . فبالغ في حراسته ياسرحان ولا تأخذ عينيك سنة

سرحان : (يضحك مازحا) إلا أن تدوف لي في القهوة مرة قدا يانعمان

نعمان : لا تمزح ياسرحان فليس هذا أوان المزاح . علينا أن نرابط

هنا ولا نبرح جوار الخيمة قط .

سرحان : لكنني قد استأذنت مولاي إبراهيم فأذن لي بأن أجرى

في طلب القائد التركي لعلني أمسكه فأعود به أسيرا إلى مولاي

نعمان : ماشأناك والقائد التركي ؟ أليس حراسة مولاك أهم من

هذا وأوجب ؟

سرحان : في هيبة مولاي إبراهيم وفي إقدامك يانعمان غنى عني

نعمان : إني أدري بأخى منك ياسرحان . انه فأتلك كالموت وموتور

كاللثيث المهبج وإني أخوه وقد لا تقوى على طعنه يميني

سرحان : ما إخالك تؤثر هذا الأخ المأفون على آمال العرب

نعمان : معاذ الله ياسرحان ولست أكنه مرهوب اللقاء

سرحان : ولست جباناً يا نعمان فتخشى لقاءه

نعمان : (متبرماً) لا أستطيع أن أحاججك الآن ياسرحان وحسبي أن

أقول لك إن قلبي ينذرني بالشر

سرحان : دع عنك وساوس قلبك . لا تخف سوءاً . . إن إبراهيم

ليعضمه ربه حتى يكلل استقلال العرب

(يزيد نعمان) فيك الخير يا نعمان . . انك لا تتخضع مثلي .

إلى اللقاء

نعمان : (يتناول كتاناً أله) الوداع ياسرحان

(يمضي سرحان)

نعمان : (يتحدث نفسه والحزن باد عليه) أبي . . . رحمة الله عليك ! أبي

ما أشقاني بك . كما ازددت سروراً بانتصار العرب واستقلال

بلادهم ازددت ألماً لأنك لم تشهده . . بل لأنك قتلت

دونه . ليت شعري أحقاً أنت ناقيم عليّ وأنت في العالم

الآخر لأنني لم أطلب بشارك بل جعلت أناصر قاتلك وأفديه

بنفسى من كل سوء ؟ وهذا ابنك الآخر قد جاء بأذلا

روحه ليأثر لك وقد جعلت وكدي أن أحول بينه وبين

ما يريد ولو أدى ذلك إلى قتله . آه يا أبت ما أشقاني بك

ما كان ضر الأقدار لو أمهلتك بضعة أشهر، إذا لست كنت

يا بـت أعقل واحكم من ان تؤثر والى عكاء الغادر على ابراهيم
منقذ العرب . رباه هذا أخى ثامر قد أقبل يسعى . ومن
ذاك الذى معه ؟ ما أشبهه بخالد ابن عصى . . نعم هو خالد نفسه
(يظهر ثامر وخالد متذكرين — يستغنى نعان)

ثامر : لن يفلت منى ابراهيم اليوم . . سأقتله فى أوج انتصاره
خالد : أما إنه لا انتصار عظيم لابراهيم اذال به للعرب من ظالمهم
وولاهم فى الإدارة والجيش الرتب السكبرى بعد ذلك الغبن
الطويل عليهم فى العهد التركى .

ثامر : حق ما تقول ، فلا شك ان ابراهيم هو المنقذ المأمول لتخليصنا
من ظلم الدولة . ولو أبصرتنى أمس اذ كنت أرقب غرة
منه لأقتله لرأيت عجبا . فقد اندفعت إلى المعمعان بلا وعى
منى كالليث المهبج أقاتل اعداءنا فى صفوف المصريين

خالد : أجل قد رأيتك أمس كأنك من جند ابراهيم

ثامر : أكنت أبصرتنى ؟ أين كنت أو أنت ؟

خالد : كنت خليفك غير بعيد منك وقد كان منى ما كان منك

فلم أتمالك إذ التحم الجيشان وأبصرت قلة جيش العرب
وكثرة اعدائهم ان خضت الوغى فى صفوف المصريين .
فطابت نفسى حينئذ واطمأنت كائنك كنت اخا ذنب يقظان
الضمير فتبت

ثامر : عجبا هذا ما شعرت به ايضاً إذ ذاك .. والله لكأنتك تحدثني
عما كان يحول بنفسى . . ولكن ما شأن هذا وشأني ؟
لا شأن لي إلا بأبي ، والذي روى الأرض من دمه هو
ابراهيم فلا بد لي أن اثار منه

(يتلفتان حولهما فيتوارى نعمان)

أعلى استعداد أنت لتلقى الموت انتقاماً لعمك فهد يا خالد ؟

خالد : ما سؤالك هذا يا ثامر ؟ هل جئنا إلا لهذا ؟

ثامر : عشت يا ابن عمي . هذه خيمة ابراهيم فلنرصدناها حتى اذا خرج
ها جملنا من خلفه ومن أمامه

خالد : دعنا الآن نبتعد قليلاً لئلا يرتاب بأمرنا أحد
(يختفيان)

نعمان : (يظهر من مخبأه) ويل لها عازمان على الفتك به . ياليتك ياسرحان
بقيت هنا . أقول لمولاي ابراهيم ليأخذ حذره ؟ لكني
لا أجسر على ذلك فقد كان يجب على ان افتك بهما
أو أصيح بالجنود ليقبضوا عليهما . ما الذي منعني من ذلك
كأني مغلول اليدين معقود اللسان ؟ . . هذا مولاي ابراهيم
والكولونل سيف قد اقبالا . ما جاء بهما الآن ؟ أقد انتهيا
من استقبال وفود التهينة ؟

(يدخل ابراهيم باشا والكولونل سيف إلى بهو الخيمة)

ابراهيم : نعمان، أنت هنا ؟

- نعمان : نعم يا مولاي
- ابراهيم : أين صديقك سرحان ؟
- نعمان : ذهب في طلب القائد التركي يا مولاي
- ابراهيم : نعم . . نسيت أنه استأذني في ذلك فأذنت له . اذهب
يانعمان إلى سرادق الاستقبال فقل لمن هناك إذا جاء أحد
من زعماء الوفود يريد مقابلة فليرأوا به هنا .
- نعمان : سمحاً يا مولاي (يخرج)
- ابراهيم : (للسكران سيف) أرأيت كيف جاءت وفود البلاد حتى ديار
بكر تهنئنا وتقدم لنا ولأولادها وطاعتها
- سيف : أجل يا مولاي . إن البلاد كلها أصبحت في قبضة يديك
- ابراهيم : (يتند) ولكن هذه الدول الأثيمة أبت إلا أن تغلّ هذه اليد
- سيف : سرّ عنك همومك يا مولاي فسوف تسير الأمور على ما تريد
- ابراهيم : ما شأن دول الغرب بنا تتداخل فيما ليس يحق لها من شؤون
الشرق؟ ليت شعري متى يأتي يوم يعرفون به أنهم ليسوا
أوصياء علينا وإنما لسنا بأطفال قصّص ؟
- سيف : إنهم أوجسوا منكم خيفة إذ رأوكم تقيمون هذا الشعب
الهائل عدده، المجيد تاريخه، من هو ان طال به تحت كل هذا
- الشيخ المريض
- ابراهيم : الشيخ المريض أحب إليهم من شعب قتيّ يحبط اطاعهم

في الشرق. آه ليت كتاب أبي لم يصلني إلا على باب اسطنبول
فما دونها من هنا إلا بضعة أيام

سيف : هب كتاب أبيك لم يأتك بعد يامولاي

ابراهيم : أتدعوني ياسيف لأعصى سيدي الوالي؟

سيف : لا وعيشك يامولاي، ولكنها فرصة ربما لا تتاح غدا مثلها

لاجتثاث القرحة من أصلها حتى لا تعلّ الجسم الذي قد

شفاه الله بطب يديك. لن تأمن مصر على نفسها أو على

اقطار العروبة ما دام هذا العنكبوت بأسطنبول يرى ان

من حقه ان ينفث في الوطن العربي خيوطة

ابراهيم : وذئاب الغرب ياسيف؟

سيف : إن الأمر الواقع كفيل بأن يجعلها تبصبص بأذناها للأسد

المصري حينما يستوى على عرش الشيخ المريض

ابراهيم : لكن كتاب أبي يقتضي ان لا أتقدم بعد كوتاهيا قيد شهر

وإني لن افتات عليه ولو زويت لي اقطار الدنيا

سيف : ما الرأي إذن يامولاي؟

ابراهيم : ان اكتب إلى سيدي الوالي وانتظر رده في اقتراح مواصلة

الزحف حتى اسطنبول

سيف : ستضيع الفرصة يامولاي إذا نجحت دول الغرب في دفع

مولاي الوالي لقبول الصلح.

ابراهيم : لآبى الراى الاعلى . وله الامر فى كل حال
(يدخل عباس باشا)

عباس : سلام عليكم

سيف : وعليك السلام

ابراهيم : إنك لم تشهد الوفود يا عباس . . اين كنت ؟

عباس : ذهبت مع المطاردین لفلول العدو يا عم

ابراهيم : ما نبوءهم يا عباس ؟

عباس : شردناهم فى تخوم الأرض فسالت مشات منهم على أطراف

الرماح وهلك كثير من التعب والإعياء وطوحت بالباقيين

منايهم فى أيدي العربان والأكراد

ابراهيم : أبليت وغامرت يا ابن أخى .

عباس : منك يا عم تعليت هذا الغار

ابراهيم : بارك الله فيك . إن الغار لنصف النجاح وما أدرك المجد

ذو إحجام وإن الموت لفي يد من أحيأك أو لم تظفروا

برشيد باشا قائدهم

عباس : لا والله يا عم . . لا ندرى كيف ابتلعتة الأرض .

ابراهيم : ستلفظه لنا يوما يا بنى

(ينهر من مجلسه) اشتهى ان انام قليلا . . تعبت من استقبال

وفود التهانى من كل صقع بعيد

سيف : أجل يا مولاي إنك لفي حاجة إلى الراحة

ابراهيم : سبحان الله . . انى لاتعب من استقبال وفود التهنئة
ما لا أتعب من قراع كتائب المعصية

سييف : تلك يامولاى شيمة البطل .

ابراهيم : البطل ياسيف من لا يضيق ذرعا بشيء . ذاك أبى - حفظه الله -
هو أقوى منى فى هذا السبيل

سييف : إن العناية الإلهية قد اختارتكما بطاين ادولة عظيمة أحدهما
يشيدها ويعلى بناءها والآخر يسوسها ويرفع لواءها

ابراهيم : (يتسم) ما أحسن ما قلت ياسيف (يدخل الخدع)

عباس : هل حدثك عمى عن كتاب أبيه بوقف الزحف ؟

سييف : نعم ياسمو الأمير .

عباس : وما عزمه ؟

سييف : أن يطيع أمر جدك لا ريب

عباس : عزيز هذا والله علينا وما دون اسطنبول سوى أيام معدودة

سييف : ربما يكون فى هذا ياأميرى خير

عباس : آه يا كولو نل سيف او تدرى كم تشتهاق نفسى الى فتح اسطنبول !

سييف : كل شيء رهين بإبائه يا صاحب السمو

(يدخل الحاجب)

الحاجب : بالباب فقى يتظالم من أحد الجنود ويرجو مقابلة الباشا

عباس : دعه يرجع بعد قليل . . فالباشا الآن نائم

سيف : لا يا سيرو الأمير بل أشعره الآن . فقد أمر الباشا أن لا
تتأخر في رفع أية شكوى إليه في أيّ حين

عباس : ولو كان في نومه يا كولو نل ؟

سيف : نعم وإن كان في نومه . هكذا أمر

عباس : (ينهض) حسنا . . سأنبهه

صوت ابراهيم : من هذا ؟

عباس : أنا عباس

صوت ابراهيم : ادخل يا بني

(يدخل عباس الغرفة)

سيف : (لنفسه) لا يأتي هذا المتظلم إلا هذه الساعة ليزعج الباشا
من نومه

(يخرج ابراهيم باشا من الغرفة وخلفه تبا)

ابراهيم : (للحاجب) ادخل بالفتى يا غلام

الحاجب : سمع يا مولاي (يخرج)

سيف : ما كان لنا أن نوقظك يا مولاي لولا أمرك

ابراهيم : خيرا صنعتما . لا بأس بتأخير النوم ولكن لا ينبغي أن

يؤخر العدل

(يعود الحاجب ومعه الفتى)

الفتى : (متعبا) أيد الله مولاي الباشا

ابراهيم : ممن تتظلم يا عبد الله ؟

الفقي : من جندي مدين لي بمجيديين يامولاي أتيت أطلبه
فاعتدي بالضرب عليّ . .

ابراهيم : ما اسمه ؟

الفقي : لا أعرف اسمه يامولاي

ابراهيم : أتعرف موضعه بالمعسكر ؟

الفقي : نعم يامولاي الباشا

ابراهيم : (يتجه نحو باب الخيمة) هلمّ إذا أرنيـه. واحرّ فؤاداه من

هؤلاء الجنود! أما علموا بعد أنّا ما جئنا فاتحين لهذه البلاد
ولكننا جئنا منقذين

(لعباس والسكرانل سيف) اذهبوا فاطلبوا في جموع الجيش بأن

يلزموا الاستقامة والحسن في هذه البلاد، فعار بنا أن نكون

كمن أجلبناهم عنها بالسيوف من القوم الظالمين

عباس : سمعاً يا عم

سيف : سمعاً يامولاي

(يخرج عباس وسيف)

ابراهيم : هيّا يا فتي أرني الجندي الذي ظلمك

الفقي : أيدك الله يامولاي وأبقاك للعدل

(يخرج هو والفقي إلى خارج الخيمة)

ابراهيم : امش قدّامي

(لا يكاد ابراهيم يمشي بضع خطوات حتى يبرز له خالد ويظهر ثامر من خلفه)

ابراهيم : ويل لك . . ماذا تريد ؟

خالد : (يهجم بطلع ابراهيم) تريدك

(يسبقه ابراهيم ويدفعه في صدره دفعة ألقته على الأرض بعيداً)

ثامر : (ينطلق نحو ابراهيم ليطعنه من خلفه) لن يخطئك الأجل اليوم

(يبرز نعمان فجأة فيعترض ثامرا فيصطرعان ويقعان على الأرض ويصاب
نعمان بطعنة من ثامر وهو لا يعرف أنه أخوه)

نعمان : تبساً لك يا ثامر . . تقتل أخاك من أمك وأبيك !

ثامر : (مدهوشاً) نعمان . . أخى ! ويل لك ، أنقذت قاتل أبيك

من يدى

نعمان : بل أنقذت من يملك الأثيمة مولى العرب !

ثامر : « يصيح ، النجاء يا خالد ! انج بنفسك !

« يلوذ خالد بالفرار — يحيط الحرس والجند بثمر ، ونعمان لا يزال قابضاً
على ثيابه حتى قبضوا على ثامر »

ابراهيم : « يقترب من نعمان » ويحك يا نعمان لماذا عرضت نفسك

لهذا الخطر ؟

نعمان : « بصوت ضيف ، مولاي إنك وهبت الحياة لى فرددت إليك

الهيئة . وأعدت الحياة لأمة العرب فسيجزيك الله عنها

حياة الأبد

ابراهيم : « لمن حوله من الحرس » احملوه إلى غرفتي واهلوا الطبيب سريعاً

« يحمل نعمان إلى غرفة ابراهيم باشا »

« يحضر الطبيب »

ابراهيم : بحياتي عليك يا طيبي عالج هذا الفتى كما لو كنت تعالجنى

الطبيب : سمعاً يا مولاي . . عسى ربي أن يوفقني لرضاك

ابراهيم : جعل الله في كفيك الشفاء

« يمضى الطبيب إلى الغرفة »

« يقف إبراهيم باشا على باب الغرفة ينظر إلى الطبيب وهو يفحص جرح نمان »

ابراهيم : أهو منمضى عليه يا جناب الطبيب ؟

الطبيب : نعم يا مولاي

ابراهيم : ما هذا النزيف ؟ ألا يمكن قطعه ؟

الطبيب : من تمزق في بعض الشرايين يا مولاي . لا بد من إجراء عملية له

ابراهيم : أيوجد أمل في نجاةه ؟

الطبيب : أرجو ذلك يا مولاي

ابراهيم : بشرك الله بالخير

« يقبل مساعدا الطبيب يحملان معهما بعض الأدوات الطبية وآلات الجراحة ويدخلان الغرفة »

ابراهيم : أخبرني حين يزول عنه الخطر

الطبيب : سمعاً يا مولاي

« يعود إبراهيم باشا إلى البهو »

ابراهيم : لا حول ولا قوة إلا بالله . . مسكين نعمان !

عباس : « يدخل مسرعاً » الحمد لله . . لعالمك لم تصب بسوء يا عم

سيف : « يدخل أيضاً » لا بأس عليك يا مولاي

ابراهيم : لله الحمد . . لم أصيب بسوء . ولكن جرح نعمان إذ وقاني
بنفسه من كيد أخيه

عباس : أخوه !

ابراهيم : نعم ، أخوه الذي يطلبني بثأر أبيه الشيخ فهد النعسان
سيف : أظن هذا الأثيم يلاحقنا من عكا إلى هنا ؟ أخشى أن
يكون ذلك الفتى المتظلم شريكاً له في الجريمة

عباس : نعم يا عم لعل الأثيم هو الذي بعثه ليصطنع ذلك التظلم
حتى يحمالك على الخروج

ابراهيم : ما أظن ذلك . . ولكن لا بأس يا عباس أن تبحث عنه
خارج الخيمة فإن وجدته في انتظارى فانه برىء وإن لم
تجده فقد يكون هرب خوفاً من الشبهة

عباس : سأفعل ذلك

« خرج عباس هنية ثم يعود »

عباس : قد وجدته ينتظر يا عم

ابراهيم : إذا فاذهب معه فانتصف له من غريمه الجندى ومر به أن
يوجع ضرباً ليكون عبرة لغيره

عباس : سمعاً يا عم . « يمضى »

« يدخل سرحان ومعه القائد التركي رشيد باشا وهو في ملابس فلاح »

سرحان : ها قد جئتكم يا مولاي بقائد جيش القوم

إبراهيم : أين هو . . ؟

سرحان : (يشير إلى رشيد باشا خلفه) هو ذا يامولاي قد تنكر في ثياب
فلاح فدلت عليه

ابراهيم : (مستغربا يتأمل في وجه الأسير فيعرفه) رشيد باشا، أهلا بالصدر
الأعظم . . مرحبا بزميلي القديم

(يد يده إليه ليصافه فاذا القيد في يديه) لا والله لا ينبغي لرشيد
باشا أن يحمل القيد

رشيد باشا : لا تعطف علي يا ابراهيم باشا فان الويل للمخلوب
ابراهيم : تلك شيمه غيرنا . أما نحن فما ينبغي للمخلوب عندنا أن يذل
(يحمل القيد عنه يده)

رشيد باشا : (يظهر عليه الامتناع) شكرا لك يا ابراهيم باشا .
ابراهيم : أردت أن أقول لك تفضل بالجلوس لولا أنه يؤلمني
أن أرى زميلي الكبير في هذه الملابس .

(يلتفت إلى الكولونل سيف) فهل لك يا جناب الكولونل سيف
أن ترافق جناب الصدر الأعظم إلى نقطة المؤن ليرتدي
ما يشاء من الملابس العسكرية الممتازة ثم تعودان معا إلى
سيف : (لرشيد باشا) تفضل يا جناب الصدر الأعظم .

(يخرج رشيد باشا والكولونل سيف)

ابراهيم : (ينظر إلى سرحان) إنك لبطل ياسرحان . .

سرحان : (يضحك) ألاني قبضت على هذا الفلاح يامولاي ؟

ابراهيم : (يتسم قليلا ثم يتطب لجأه) أما علمت ياسرحان ؟

سرحان : (في مظهر اهتمام) بهم يامولاي ؟

ابراهيم : بالذي حدث . .

سرحان : ماذا حدث يامولاي ؟

ابراهيم : صديقك نعمان . .

سرحان : نعمان . . أصيب بسوء يامولاي ؟ هل جاء أخوه الوغد ؟

ابراهيم : نعم

سرحان : الحمد لله إذ سلمت يامولاي من كيد الأثيم فدمت لمجد العرب

ابراهيم : كيف علمت ياسرحان أن هذا الأثيم سيجيء هنا ؟

سرحان : قد أئذرنى نعمان بذلك في الصباح وألح عليّ أن أبقى معه

لحراستك يامولاي . فياليتني أطعته

ابراهيم : أكان نعمان يعلم ذلك من قبل ؟

سرحان : لا يامولاي ولكن نعمان كان دائماً يتوقع مجيء أخيه

وينحشى عليك من كيده . . أخبرني يامولاي أقتل نعمان ؟

ابراهيم : كلا . . لا بأس عليه إن شاء الله . . هو تحت العلاج

سرحان : أبقى الله مولاي . . أين هو الآن لأراه ؟

ابراهيم : الطبيب يعالجه ثم في غرقى .

(بهم سرحان بالذهاب الى الغرفة)

ابراهيم : (يستوقف) لا . . ليس الآن ياسرحان . . حتى تتم العملية

التي تجري له

(يترقق الدمع في عين سرحان)

- ابراهيم : لا تبك ياسرحان فلا خوف عليه إن شاء الله
- سرحان : (هامسا) بعض فرحك ياسرحان . . فن يدرى . . .
- ابراهيم : ماذا تقول ؟
- سرحان : تذكرت كلمته لى فى الصبح إذ رآنى فرحا بالنصر فقال لى :
- بعض فرحك ياسرحان فن يدرى ماذا تضمن لنا الأقدار فى هذا اليوم ؟
- ابراهيم : أما إنك لشديد الحب لنعان
- سرحان : والله ما أحببتك إلا فيك يامولاي وفى العرب . إنه ليحبك حباً شديداً
- ابراهيم : أجل . . لو لم يحبني لما فداني بنفسه . ياليت أخاه يكون مثله
- سرحان : أين أخوه يامولاي ألم تقتلوه ؟
- ابراهيم : كلا . . . هو مقبوض عليه حتى نرى رأينا فيه
- سرحان : أشتى أن أرى هذا المجرم وأقتله بيدي . ائذن لى يامولاي أن أذهب إليه
- ابراهيم : لا ياسرحان . سآمر باحضاره هنا حتى تراه بين يدي . ادع لى أحد الحرس
- « يخرج سرحان ويعود ومعه الحرسى »
- ابراهيم : « للحرسى ، إذهب فأنتى بالمجرم المقبوض عليه
- الحرسى : سمعاً يامولاي . » يخرج ،
- « يدخل عباس باشا ،
- ابراهيم : هل عاقبت الجندي يا عباس ؟

عباس : نعم يا اعم

ابراهيم : لقد أحسنت

عباس : « يدنو من سرحان » أهنتك يا سرحان بنجاحك في القبض على رشيد باشا

سرحان : شكرا يا سمو الأمير

عباس : أين هو الآن ؟

ابراهيم : ذهب إلى نقطة المؤن ليغير ملابسه

عباس : (في استغراب) ليغير ملابسه ؟

سرحان : كأن سيدي الأمير لم يعلم أنه جاء هنا في ثياب فلاّح
عباس : (يضحك) وددت والله لو رأيته في تلك الحال ، إذا لضحكت
ملء فمي عليه

ابراهيم : إيتاك يا بن أخي أن يرى منك رشيد باشا شماتة أو سخرية
به ، فهو رجل عظيم وزميل لعمرك قديم

عباس : عفوا يا اعم . لم أملك نفسي إذ سمعت هذا الخبر أن ضحكت
ولن أصنع ذلك في حضرته

(يعود الكولونل سيف ومعه رشيد باشا وهو في زي عسكري فاخر)

ابراهيم : (يتلقى رشيد باشا) تفضل يا رشيد باشا .

رشيد : شكرا

ابراهيم : (يقدم له عباس باشا) هذا الأمير عباس باشا بن أخي .

رشيد : (مصافح عباسا) أهلا بك يا عباس باشا

ابراهيم : تفضلوا

(مجلس الجمع . ابراهيم باشا ورشيد باشا في صدر البهو)

ابراهيم : (رشيد باشا) أرجو أن تكون كما تحب يا جناب الصدر الأعظم

رشيد : أنا عاجز عن شكرك يا جناب الباشا على كرمك

ابراهيم : أستغفر الله . بل أنا العاجز عن شكرك على هديتك القيمة

رشيد : إنك تشكرني على شيء لم أفعله

ابراهيم : (يتسم) بلى . . . إنك أهديتني . . . (يلتفت الى السكولونل سيف)

كم مدفعا يا كولونل ؟

سيف : اثنين وتسعين مدفعا يا مولاي .

ابراهيم : (رشيد) وغيرها من الذخائر والمؤن . أفلا أشكرك عليها

يا جناب الصدر الأعظم ؟

رشيد : (كاظم غيظه) إنها قليل من كثير عندنا يا جناب الباشا

ابراهيم : إنما لاستغنى عن ذلك الكثير . فلعل خلفاءك من القواد

لا يبخلون علينا بالمزيد .

رشيد : إن خلفائي قد يستردون الهدية التي تشكرني عليها اليوم

فلا أستحق هذا الشكر حينئذ

ابراهيم : قد ورد في الحديث الشريف أن العائد في هبته كالعائد

في قيئه، وإن محافظتي على كرامة خلفائك تمنعني أن أمكنهم

من إتيان هذا الأمر الذي لا أَرْضاه لهم

رشيد : ان كنت لا ترضى لهم هذا فقد يطعمعون أن تهديهم من قليل ما عندكم

ابراهيم : إنا نضمن بعثادنا القليل أن نهديه لغيرنا وللسنا كرماء مثلكم
رشيد : صدقت . إنا لنظلمكم حين نطالب إليكم أن تهديونا من

قليلكم وعندنا الكثير الذي لا يحصى

ابراهيم : لعلك لا تخالفني في أن القليل الذي يضم إليه دائماً من غيره أكثر من الكثير الذي يؤخذ منه دائماً لغيره

رشيد : إنا لا نكثركم بعثادنا فحسب ولسنا نكثركم أيضاً بجيوشنا

ابراهيم : إنا معترفون بأن جيوشكم أعظم من جيوشنا عدداً . وكيف

نكابر في هذه الحقيقة وقد لقيتمونا في معركة أمس بثلاثة

أضعاف جيوشنا . وكان هذا حالكم معنا في كل المعارك

السالفة ؟ لا والله لا ننازعكم هذا الشرف أبداً

(يدخل الأمير بشير الشهابي ومصطفى اغا بربر)

بشير : السلام عليكم

ابراهيم : (ينهض من مقعده ليستقبل القادمين) وعليكم السلام . . . أهلاً

بالأمير بشير الشهابي . . أهلاً بمصطفى بربر (يصاخهما) يسرني

أن أقدم اليكما جناب الصدر الأعظم رشيد باشا ضيفنا العزيز

بشير ومصطفى : (يصاخان رشيد باشا) تشرفنا يا جناب الصدر الأعظم .

ابراهيم : تفضلاً . . مرحباً بكما

(يجلسان عن يمين ابراهيم باشا ورشيد عن يساره)

بشير : لسنا ندرى أنهى أمير العرب بالنصر الباهر أم بالسلامة
من كيد المغتال الأثيم ؟

مصطفى بربر : بل نهضة بكل الأمرين وباستقلال العرب

بشير : بل نهى أنفسنا بسلامة أوطاننا في سلامة منقذها الأكبر

ابراهيم : بارك الله فيكما وفي أمثالكما من زعماء العرب في فلسطين
والشام فما أحرزنا النصر إلا بفضل الله وفضل تأييدكم لنا

في وقائعنا بالزراعة وعكاء ودمشق وحمص وبيلان

بشير : إن أرواحنا — بله ما تحت أيدينا من أموال وضياع —
بين يديك تتصرف فيها كيف تشاء .

ابراهيم : قد أتتني رسائلكم المهنئة بانتصارات جيشي فكانت سلاما
على قلبي . فعلام تجشمتم بعدها كل هذه الصعاب لتهنئتي ؟

بشير : لم نملك أنفسنا فرحا إذ سمعنا بنصرك في قونيه أن شددنا
إليك الرحال وجبنا لك الأميال لنشهد يوما لامثيل له في
حياة العرب سيبقى على مر الأجيال

مصطفى بربر : ولسكني أسف يامولاي أن تهانئى ردّت الى

ابراهيم : أكانت مكتوبة باللغة العربية ؟

مصطفى بربر : لا يامولاي الباشا بل باللغة التركية

ابراهيم : أما للعرب لسان نعتز به يامصطفى بربر حتى تسكتب لى
بلسان غيرهم ؟

مصطفى بربر : بلى يامولاي ولسكنى جريت على السنة المتبعة من قبل
ابراهيم : إنما كانت هذه سنة متبعة في العهد البائد . ذاك يامصطفى
عهد قد تولى لغير رجوع

مصطفى بربر : اعذرني ياأمير العرب إذ غاب عني أن أرعى هذا الأدب
ابراهيم : قد يعذرکم من يعلم کم طال هذا الهوان عليكم فأنساكم مجدکم
وماثر آبائکم . عجبا . للعرب — عجبا والله يستدر الأسى
والعطف عليهم كيف يستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو
خير ؟ ويحکم يعيشون فى مصر ودمشق وبغداد ثم ينسون
لغة المعرى والمتنبى وسيف بنى حمدان !

بشير : صدقت ياأمير العرب، إن حياة الأمة بحياة لسانها
(يدخل الحرسى ومعه ثامر والقيد فى يديه)
ابراهيم : (يشير إلى ثامر) انظروا ياأصدقائى . . . هذا النعسانى الذى
أراد اغتيالنى اليوم فوقانى منه أخوه
(ينظر الجميع إليه مشمئزين)

ابراهيم : هو ذا ياسرحان غريمك الذى طعن صديقك نعمان
سرحان : (ينهض من مقعده) لوأذنت يامولاي فقتلت هذا الأثيم بيدي
ابراهيم : لا تعجل ياسرحان . . سنفصل فى أمره
ثامر : (ينظر إلى سرحان) اقتلنى يا هذا إن شئت . فهو أحب إلى
نفسى من هذا القيد المذل

سرحان : عار على منلى أن يقتل مثلك فى القيد . .

ثامر : إنَّ مثلك لأحققر أن يستطيع قتل مثلي إلاَّ وأنا في القيد.

سرحان : (لبراهيم باشا) هل لك يامولاي أن تأمر بإطلاق هذا المجرم الأثيم ليبارزني بالسيف فأقتله شرَّ قتلة ؟

ابراهيم : (باسم) مايدريك أني لا أعفو عنه ياسرحان ؟

سرحان : تعفو عن هذا الأثيم يامولاي ؟

ابراهيم : نعم . . كما عفوت عن أخيه الذي حاول اغتيالي من قبل.

سرحان : لك يامولاي أن تنزل عن حقك ولسكني لن أنزل عن.

حتى ، فقدأهان هذا الرجل شرفي . وعدلك يأبى أن يعفني عن.

هذا المسيء ويظلم هذا البريء ، فدعني أقتله أويقتلني

ابراهيم : إنك لأعز عليَّ من أن أمكنه منك

سرحان : أتخشى أن يغلبني هذا يامولاي ؟

ابراهيم : كلا ياسرحان ، ولكنه رجل يتوقع القصاص فهو مستميت . وأنت في سعة عن مبارزته

سرحان : لم أعد كذلك يامولاي بعد أن تحداني وأهانني . فإن قتله.

شفيت غليلي منه وأوردته ما استحق ، وإن كانت الأخرى.

فقد غسلت العار الذي ألحقه بي

ابراهيم : إننا بعد في حاجة لبلائك ياسرحان . أما كنت في شوق.

لليوم السعيد الذي يتحقق فيه خلاص بلاد العرب ؟

سرحان : بلى يامولاي

ابراهيم : فها نحن أولاء نشارف ذاك اليوم السعيد
 سرحان : أجل .. سأموت قرير العين بتحقيق مولاي ذاك الرجاء
 وفي هذا ما يعزيني وكفى

ابراهيم : نفسي لا تطوِّع لي أن أفقد قوة مثلك
 سرحان : ستجود العرب بأرواحها في سبيلك يا مولاي وفيها أي
 غنى لك من مثلي

ابراهيم : كلا ... لا أستغنى عن أصغر رجل في الجيش ، وأنت
 وسائر أفراد الجيش ملك لمصر وللوطن العربي الأكبر
 لا ملكي

(يخرج الطبيب من الغرفة إلى البهو)

ابراهيم : ما وراءك . . ؟ بشّرنا
 الطبيب : قد تمت العملية يا مولاي وزال عنه الخوف
 ابراهيم : الحمد لله ، هل أفاق من غشيته ؟
 الطبيب : نعم يا مولاي وهو يسأل عن سرحان
 سرحان : الحمد لله

الطبيب : ويسأل أيضاً عن ثامر
 ثامر : عني أنا ؟ مسكين أنت يا نعمان (يبكى)
 سرحان : (لثامر) عنك يا هذا ؟ عن قاتله ؟

ابراهيم : عن أخيه ياسرحان
 سرحان : (للطبيب) أفنى وسعى أن أراه الآن ؟

الطبيب : نعم في وسعكم . . لكن لا تطيلا المكث لديه ولا تزججاه
(ينطلق سرحان إلى جهة باب الغرفة ويتبعه ثامر ويتقدمها الطبيب)

الطبيب : ادخلا بهدوء

سرحان : (يلتفت إلى ثامر) فيم جئت هنا ؟

ثامر : لأراه يا سرحان معك

سرحان : ألتقتله مرة أخرى ؟ لا والله لا تدخل

ثامر : (يريه القيد في يديه) كيف أقتله ؟ أما ترى القيد في يدي ؟

الطبيب : لا تختصما فإن أعصابه لا تتحمل هذا الشجار

نعمان : (يسمع صوته من الغرفة) سرحان . . . ادخل يا سرحان ودع

ثامراً يدخل معك

سرحان : الحمد لله . . هذا صوت نعمان

الطبيب : (يفتح الباب) ادخلا بهدوء

(يظفر نعمان مسجى على سريره في الغرفة)

سرحان : (يقبل رأسه) الحمد لله . . أنت بخير يا نعمان

نعمان : نعم أنا بخير يا سرحان

سرحان : لله الحمد . . لقد خشيت يا صديق عليك

نعمان : لو مت لكان قليلا لمولاي إبراهيم باشا

سرحان : ولما كان يكون كثير آ على صديقك سرحان

نعمان : (ينظر إلى ثامر) وعلى أخى ثامر أيضا . . أقبل يا ثامر أقبل إلى

- ثامر : (يتقدم اليه) نعمان .. أخى
- نعمان : (يشير بيده) تعال ادن منى
- ثامر : (ينحن عليه فيقبله على جبينه) أخى .. أخى
- نعمان : ماذا فى يدك .. ؟ القيد ؟ كثير هذا على ثامر . أين مولاي
ابراهيم باشا .. أفى وسعته أن يجيء هنا لأراه ؟
- سرحان : سأقول له كى يجيء (يخرج من الغرفة)
- نعمان : (لثامر) لسنك تستاهل أكثر من هذا .. كيف تروم
أن تقتل منقذ قومك يا ثامر ؟
- ثامر : سامحنى يا أخى .. قد ندمت على ما فعلت
- سرحان : (لابراهيم باشا فى الباب) يشتهى نعمان أن يراك يامولاي
- ابراهيم : حباً وكرامة . (ينهض الى الغرفة ويتبعه سرحان)
- (نعمان) لعلك بخير يا نعمان ..
- نعمان : فى ظال عطفك يامولاي .. ألا تعفو عن أخى ثامر ؟
- ابراهيم : لقد عذمت على أن أعفو عنه
- نعمان : أطال الله بقاءك يامولاي
- ابراهيم : ولكن سرحان لم يرضه منى
- نعمان : (ينظر الى سرحان) فيم ياسرحان ؟ أأنت شديد الوجد
على ثامر ؟
- سرحان : كيف لا وهو يقصد مولاي ابراهيم بسوء وقد كاد
يودى بك ؟

نعمان : إنه قد ندم ياسرحان . . أما ترى دمه يتهادر من عينيه ؟

سرحان : بل جبان يخاف الخكم عايه بما اجترحته يداه

نعمان : كلا يا صديقي . . إن ابن فهذ ليس بمن يتهيب وجه الموت

سرحان : لقد شئت أن يبارزني بالسيف فإذا أقتله أو يقتلني .

تامر : (ابراهيم باشا) مولاي . . ألا تحل قيدي ليبارزني سرحان

نعمان : تبا لك ياسرحان، أتريد أن تسىء إلى ؟ أما تعلم أنك إن

بارزته فستفجعني إما في صديقي أو في أخي ؟ إنك تبغى

مراغمتي ياسرحان

سرحان : لا والله لا أبغى مراغمتك .

ابراهيم : حل ياسرحان وثاق أخيك فانكما أخوان

سرحان : سمعاً يا مولاي (يحل وثاق تامر)

ابراهيم : وأنت فصاحفه يا تامر

تامر : سمعاً يا أعفى الناس وأكرمهم . (يمد يده إلى سرحان فيتصافحان)

(ل ابراهيم باشا) شكر ايام عز العرب ومنقذهم، والله لأفتدينك

ويفتدينك بنو النعمسان جميعاً معي ونسكون جنداً نقاتل

تحت لوائك من قاتلت وأنى شئت إلى أن نذوق الموت

ابراهيم : (يتהל وجهه بشراً) بارك الله فيك يا تامر

(ينظر إلى نعمان فإراه يبكى) ما يبكيك يا نعمان ؟

نعمان : سروري يا مولاي

ابراهيم : استرح الآن . . أتم الله عليك الشفاء

نعمان : وأدام لمولاي النصر والتأييد

ابراهيم : (لسرحان وثامر) ههنا معي . . . دعاه يستريح (يخرج الى البهو)

نعمان : (لثامر) أخى . . كن أميناً لمولاي ابراهيم

ثامر : اطمن يا نعمان

نعمان : (لسرحان) والله ياسرحان ما فرحت كالיום قط

سرحان : سيزيد فرحنا يا نعمان حين يتم شفاؤك

نعمان : أقبضت على القائد التركي ؟

سرحان : نعم

نعمان : كيف ؟

سرحان : سأقص عليك خبره فيما بعد . أما الآن فاسترح . (يخرج

هو وثامر الى البهو)

نعمان : (لنفسه) نفذت مشيئتك ياسرحان . . . ونفذ القدر مشيئته

(يدخل الطبيب الى نعمان فيجس جبينه ويصلح العظام عليه)

الطبيب : أنت في حاجة للراحة التامة فتم واسترح

(يغمض نعمان جفنيه ويخرج الطبيب من الغرفة ويفلق الباب على نعمان

وينصرف لسيده)

ابراهيم : (يشير الى سرحان وثامر وقد جلسا معا يتحدثان) انظروا الى هذين

الخصمين كيف صارا صديقين حميمين

سيف : لا عجب يا مولاي فقد جمعهم ما حبك

- بشير : الحب الذي جمع العرب عليك
- ابراهيم : (يلتفت الى رشيد باشا) ألا تعجب يا جناب الصدر الأعظم من
حبهما لي وقد قتلت والد أحدهما ودمرت بلاد الآخر
إرضاء لسلطانك الناكر للجميل ؟
- رشيد : إن ذكرت جناب السلطان اليوم بسوء فاربّ يوم كنت
فيه يا جناب الباشا تقاتل معي تحت لوائه
- ابراهيم : لعالك تشير إلى أيامنا في ميادين اليونان . أما تزال تذكرها ؟
- رشيد : كيف لا ؟ تلك أيام خالدة
- ابراهيم : أذكرها سلطانك أيضاً ؟
- رشيد : ومن ينساها وينسى بلاءك فيها وإقدامك ؟
- ابراهيم : كلا . . . بل نسيتكم جميل أبي ونفستكم عليه الفخار الذي
حلاكم به
- رشيد : أوكد لك يا جناب الباشا أن مولانا السلطان إن ساءه ما ساءه
من الباشا أيبك فإنه يقدر خدماتك قدرها ولا ينساها أبدا
- ابراهيم : إنما أنا سيف أبي أيده الله وقد ساني مرتين لإغاثتكم في
نجد وفي اليونان على أن يجزيه السلطان ولاية الشام ، فماذا
كان جزاؤنا؟ كان جزاؤنا أن حمل العلماء على الإفتاء
بتكفيرنا وإعدامنا تمهيدا بذلك لانتزاع مصر نفسها
من أيدينا

رشيد : ليس ثم ما يبرر هذه المخاوف فلم يكن قطّ في نية مولانا السلطان أن ينتزع مصر من أيديكم

ابراهيم : (يخرج طومارا من جيبه) ما رأيك في هذا فرمان الذي وجدناه في خيمة المشير حسين باشا الذي هزمناه قبلك؟

(يقدمه رشيد باشا) اقرأه يا جناب المصدر الأعظم تجد سلطانك يجعل ولاية مصر لذلك القائد المهزوم

رشيد : (ينظر الى فرمان بمتعاض) إنه لم يصدر هذا إلاّ بعد أن خلعتم طاعته وخرجتم لقتاله

ابراهيم : ونحن لم نخرج لقتاله إلاّ بعد أن نصبحناه وأنذرناه فلم يجد فيه النصيح ولا الإنذار . ولعله بعد أن ألغينا فرمان الأول كتب لك فرمانا جديدا بولاية مصر . ألا ترينى يا جناب المصدر الأعظم هذا فرمان؟

رشيد : إن مولانا السلطان انتدبني للدفاع عن حوزته فخرجت نزولا على طاعته لا طمعا في وسام أو فرمان

ابراهيم : كان على السلطان أن يعطيك فرمانا بولاية مصر لتخلص في قتال صاحبها كما فعل مع حسين باشا . ولعله لو فعل ذلك لكنت نجحت في هزمننا

رشيد : ستري أن هزيمتنا إن هي إلا هزيمة مؤقتة وليس سببها ما ذكرت

ابراهيم : أتعنى أن لديك هذا الفرمان ؟

رشيد : نعم

ابراهيم : ألا ترينى إياه يا جناب الصدر الأعظم ولك عهد الله أن أعيده اليك

رشيد : ليس لأحد يا جناب الباشا أن يطالبنى بهذا فى موقف كهذا الموقف

ابراهيم : إنما أشفقنا على السلطان محمود مما أتعب به نفسه من كتابة الفرمانات التى لا تكاد ترحل عنه بضعة فراسخ حتى تلغى وحتى يستجى حاملها من إبرازها !

رشيد : كلا يا جناب الباشا، إن فرمان السلطان لتكرمة لحامله . فإن سرّك أن تراه فها هو ذا لتعلم أنى لست أستجى من إبرازه كما ذكرت (يخرج الفرمان ويقدمه لابراهيم باشا)

ابراهيم : (ينظر فى الفرمان) ياله من فرمان عظيم .. لو نفذ . يعزّ علىّ والله أن أرى فرمانات السلطان تلغىها السيوف مرة بعد مرة ليت شعرى لمن سيكون الفرمان التالى ؟ (يعيده الى رشيد باشا)

رشيد : إن فرمان مولانا السلطان لا يضرّه أن يلغى مرة بعد مرة لأنه سينفذ فى النهاية

ابراهيم : لقد رثينا لسلطان المسامين من تعبته وضمننا بكرامته ، فإن أبى إلاّ إتعاب نفسه وتعريض كرامته للهوان فليمض فى

ذلك ولينثر لنا ما بقي في كنفاته . ولعله لن يجد فيها أمضى

من المشير حسين باشا مبيد الانكشارية أو أقوى من

الصدر الأعظم رشيد باشا بطل الأبطال في حروب مورده!

رشيد : إنك تذكر كرامة سلطان المسلمين يا جناب الباشا وأنت

تعرف من عرضها للهوان الذي أشفقت عليها منه

ابراهيم : إن على سلطان المسلمين أن يحتفظ هو بكرامته بالعدل

والإنصاف والوفاء بالعهود والمواثيق والنصح للمسلمين

وليس له أن يطالب الناس بحفظها له إذا هو قصّر

فيما يجب عليه

رشيد : الكلّ يعلم أن مولانا السلطان — أيده الله — لم يقصّر

في واجبه، فاقام بما قام به إلا خوفا من افتراق كلمة المسلمين

ابراهيم : هذا والله عجيب. ألـكى يجمع كلمة المسلمين استنجد بدول

الغرب على المسلمين؟ إذا فلينعهم السلطان بالا، إن الدول

الأجنبية ستحميه من سطوة أبناء الإسلام!

رشيد : إنما أراد الصالح بذلك لحقن الدماء

ابراهيم : أبعد ألوف الجنود التي أفينناها منكم؟ هلا كان ذلك منه

وفيك دماء تحقن بعد؟

رشيد : إن قوات السلطان لم تبد بعد، وفي وسعه — لو شاء —

مواصلة الحرب

ابراهيم : فعلام استنجد الدول الأجنبية إذن لتحميه منا؟

رشيد : إنما فعل ذلك لكي يحملكم على قبول الصلح

ابراهيم : أتخيفوننا من دول الغرب؟ ألا فاعلموا أننا لا نخاف

أساطيلهم في البحر ولا جيوشهم في البر، وقد أريناهم في

اليونان كيف يقاتل أبناء وادي النيل. وبعد فإني قد وقفت

الزحف نزولا على أمر مولاي محمد علي باشا صاحب مصر

أيده الله . فإن شئت يازميلي القديم أقمت بيننا في عزّة

وكرامة وإن اخترت الرجوع إلى بلادك يا جناب الصدر

الأعظم شيعت معك من يوصلك إلى مأمّنك

رشيد : شكر آيا جناب الباشا. أما وقد خیرت فإني أختار الأمر الثاني

ابراهيم : إذا فبلغ تحياتي لجناب السلطان وأخبره بأن الصلح سيعقد

بيننا وبينه وسرعاه ما رعا ، فإن ينقض عهده فجنودي

بالمرصاد ولن تقف الزحف حينئذ دون أسطنبول

(يلتفت الى عباس باشا) أليس كذلك يا عباس ؟

عباس : بلى يا عم . لن يصدنا عنها حينئذ حلفاؤهم الأجانب. إنما

لم نكن في يوم من الأيام بأقوى منا اليوم وقد هبت

أوطان العروبة قاطبة تحت العلم المصري تسير إلى حيث

يدعوها ماضيها المجيد

ابراهيم : (رشيد باشا) ها أنت يا جناب الصدر الأعظم قد رأيت

بعينيك الروح العربية كيف سرت في البلاد . فلا تحاولوا
أن تطفشوا بأفواهكم جذوة أوقدتها يمين الله !
(ياتفت إلى الآخرين) يا بني مصر والشام — يا بني العرب أترضون
أن ترجعوا للذل ؟

الجميع : معاذ الله ! معاذ الله !

سرحان : لأطيب من ذلك يا مولاي الموت

بشير : إنما قد خلعنا ذاك النشير عنا بكفتك يا بن محمد علي باشا،
أفنجمله فوق أعناقنا مرة أخرى ؟

عباس : كلا .. دون هذا وتنهأ أسوار اسطنبول !

مصطفى بربر : (يهتف) يعيش ابراهيم باشا منقذ العرب !

الجميع : (ماعدا رشيد باشا) يعيش ابراهيم باشا منقذ العرب !

ابراهيم : (لرشيد باشا) أرجو يا جناب الصدر الأعظم أن تنصح رجال
الحكم باسطنبول بأن يطردوا منذ اليوم من رؤوسهم فكرة
استعباد بلاد العرب . قد أعتقها الرحمان فلن يستعبدوها
أجني بعد اليوم

سيف : هذا حلم نابليون تحققت يا مولاي !

ابراهيم : لا بل حلم ابراهيم وحلم العرب !

رشيد : قد لا يتحقق هذا الحلم غدا، فغد بيد الله يا جناب الباشا

ابراهيم : لا أجهل يا جناب الصدر الأعظم أن الغد بيد الله . ولكن

الله القويّ العزيز قد ابتعث الروح العربية من رسمها فهي
 باقية لن تموت. واذا لم يتم على عهدي ما أردت من وحدتها
 العظمى فلسوف يحققها بعدي بطل من أحفادي

« ستار الختام »

تنبيه

يستحسن أن ينزل ستار الختام هنا بقرونا بصورة مكبرة
 لصاحب الجلالة الملك فاروق الأول — أيده الله —
 ويترك التصرف في ذلك لخبرة المخرج

عمر المختار

أشخاص المسرحية

السيد عمر المختار		بطل المسرحية
ضرغام		شاب من المجاهدين
فاطمة		فتاة تنسأها السيد عمر المختار
		وزوجها لابن عمها ضرغام
المارشال بادوليو		حاكم طرابلس وبرقة
الفضيل بو عمر		من قواد السيد عمر المختار
يوسف بورحيل		

شخصيات ثانوية

السيد الحسن السنوسي	
المستجوب الإيطالي	
مجاهدون	
ضباط طليان	

الفصل الأول

لما ضاقتْ موسوليني بأمر المجاهدين الطرابلسيين أعلن توحيد الإدارة في طرابلس وبرقة ، وعين الجنرال بادوليو حاكما عليهما فاستعمل هذا الشدة المتنامية للقضاء على السيد عمر المختار وجماعته الذين اتخذوا الجبل الأخضر مركزا لجهادهم الوطني . ولكن السيد عمر المختار قابل هذه الشدة بمثلمها فوالى الغارات الليلية على معسكرات الطليان ونقطهم ببسالة لا نظير لها حتى أن المجاهدين كانوا يتخطفون الضباط الطليان من نقطهم ويسوقونهم الى الجبل ، ولما أخفق بادوليو في القضاء على الثورة بالشدة جنح الى المفاوضة ليقضى على السيد عمر من طريق اللين . ولم يسمع السيد عمر الا إجابته لما طلب ليقيم بذلك الدليل العمل على حبه للسلم .

والمشهد الذى نحن فيه فى مثل يسى (سيدى رحومه) كان المارشال بادوليو حضر اليه ومعه وكيله سيدشليانى وكثير من الضباط الطليان وبعض مشايخ العرب الموالين للطليان — يقبل السيد عمر المختار ومعه المجاهد الفضيل بو عمر وهما على جراديهما

السيد عمر : (يترجل) السلام على من اتبع الهدى . صباح الخير يامارشال بادوليو

بادوليو : صباح الخير ياسيد عمر . أهلا وسهلا . إنك جئت اليوم وحدك على غير عادتك معنا

السيد عمر : أجل لأنى بلوتكم فوجدتكم موضعا للشقة فلا خوف على من غدركم

بادوليو : (يضحك) ولستكنك أخطأت هذه المرة ياسيد عمر
 السيد عمر : أخشى أن تكون أنت الذى أخطأت يامارشال بادوليو
 بادوليو : لا ينبغي لك أن تشق بنا مرة أخرى
 السيد عمر : إن هذا الدرس الذى تتكلمم بإلقائه علىّ قد تعلمناه من
 حكومتك منذ ثمانية عشر عاما
 بادوليو : إنك فى قبضتنا الآن، نخير لكما أنت وصاحبك أن تلقيا
 سلاحكما

السيد عمر : (يضحك) بل أنت وجماعتك فى قبضتنا، ولا بأس أن تبقوا
 بسلاحكم فأننا لا نخافكم . إن الفرق الأربع التى أحططنا بها
 غدراً ولؤما منك قد أحاطت بها فرق أربع من المجاهدين
 ستييدها إذا تحركت قيد شبر . فمرها بالتفرق والإصراف
 إذا شئت سلامتهم وسلامتك ومن معك

بادوليو : إذا فقدت غدرك بنا ياسيد عمر وأنتم تفخرون بأنكم لا تغدرون
 السيد عمر : كلام نغدر بك وليس من شيمتنا الغدر . وإنما منعناك
 من الغدر لأنتم المفاوضة التى دعوتنا إليها

بادوليو : والآن ماذا تريد منى ؟
 السيد عمر : أن تبعث أحد ضباطك ليفرق جنودك الذين أحططنا بهم
 ويأمرهم أن يلقوا أسلحتهم لجنودنا المجاهدين
 بادوليو : وما يضمن لى أن جنودك لا يسوقون جنودنا أسرى الى
 الجبل ؟ ونحن هنا ما يضمن لنا سلامتنا ؟

السيد عمر : كلفتى هى الضمان وليس لك أن تطلب ضمانا غيرها

(يأمر بادوليو أحد ضباطه بالذهاب لتفريق الجنود كما أمر السيد عمر)

السيد عمر : اذهب يا فضيل فمر المجاهدين بأن يخلوا سبيلهم بعد أخذ الأسلحة التى معهم ثم عد اليها وعشرة معك

الفضيل : سمعاً يا سيدي (يتعلق الفضيل والضابط الايطالى)

السيد عمر : هيا بنا نبدأ المفاوضة يامارشال بادوليو — تفضلوا بالجلوس . ها هى ذى المقاعد قد أعدت لنا

بادوليو : ألا تنتظر حتى نرى ما يكون من جنودنا وجنودكم ؟

السيد عمر : (يضحك) لقد أصدرنا اليهم أمرنا ، ولا بد أنهم الآن قد أطاعوه فرجع جنودك خفاف الظهور وانصرف جنودنا مشقايين بأسلحتهم وأسلحة غيرهم — أعانهم الله !

بادوليو : إنلى الحق فى أن أتأكد من انصراف جنودك ، لأن المفاوضة يجب أن تتم فى جو حر لا ضغط فيه على أحد الجانبين

السيد عمر : إنك تعلم أنى أنا الذى حى هذا الجو الحر للمفاوضة وسأحميه كذلك إلى النهاية . وأنا مالك الموقف على كل حال ، وفى استطاعتى أن أسوقك ورجالك أسرى الى الجبل ، ولا لوم على فى ذلك لأنك أنت الذى بدأت بالغدر ونقض العهد . ولعلك أيضاً غير ملوم يامارشال بادوليو ، فالطليان كانوا ولا يزالون أمة الغدر ونقض العهود . ولكن ثق أننا

لن نجزيك على فعلتك فلا تخش أن نوقع بك ما تستحقه
بعد أن أمسكك للمفاوضة معنا، لتعلم أننا حريصون على
مادعوتنا إليه من المسالمة والمفاوضة . واعلم أن قتل مثلك
لا يفيدنا شيئا وبقاء مثلك لا يضرنا شيئا . والله لو أن سيّدك
الدوتشي نفسه وقع في قبضتنا بدلا منك في مثل هذا الظرف
لما حدثتنا نفوسنا بالقبض عليه ما دام يدّعي أنه يريد
مفاوضتنا حتى ينتهي ما بيننا وبينه من الهدنة

(يعود المجاهد الفضيل وعشرة من المجاهدين معه والعنايط الايطالي)

السيد عمر : هل امثّل الجنود أو امرنا وأوامر المارشال بادوليو يا فضيل ؟

الفضيل : نعم

السيد عمر : أحسنتم، تفضلوا خذوا مقاعدكم . أطمأن الآن فؤادك

يامارشال بادوليو ؟ فقد بقي المجاهدون بعيداً عنا وعنك

ليحرسونا ويحرسوك حتى يتم اجتماعنا

بادوليو : انني واثق بشرفك ياسيد عمر ، وإني لذلك طامع في أن

ننتهي على شيء فيه مصلحتنا ومصلحتكم ومصلحة البلاد

السيد عمر : هذا هو الدافع نفسه الذي جعلنا نجيبك إلى طلبك بالرغم

مما بدا لنا من سوء نيتكم وعدم صراحتكم

بادوليو : سنكون من اليوم فصاعدا صرحاء معك . ألا ترى معي

ياجناب السيد عمر أن لاداعي إلى هذه الحروب التي أهلكت

الحرث والنسل وأوقعت البلاد في الفقر والخراب

السيد عمر : هذا السؤال يجب أن يوجه اليكم أنتم ، وعليكم وحكمكم أن تجيبوا عليه . إن البلاد التي تذكرها هي بلادنا نحن العرب وأنتم الذين جثتم من بلادكم لتتزعوا أراضينا من أيدينا ، ثم لم تكتفوا بذلك حتى أردتم القضاء على ديننا ولغتنا وشرفنا . فماذا كنتم تصنعون أنتم لو جاءت أمة اليكم لتصنع بكم ما تصنعون بنا ، أتسلمونها أم تحاربونها ؟

بادوليو : إن هذا يجرنا إلى كلام طويل في تاريخ استعمار الأمم القوية للأمم الضعيفة ، وإن الحرب بيننا قائمة فعلينا أن نبحث في معالجة الحالة الراهنة لا في ذكر أسبابها الماضية

السيد عمر : أجل ، إن الحرب بيننا قائمة ، ونحن لم نشك اليكم من طولها وسنمضي في جهادنا إلى النهاية . وإنما أنتم الذين دعوتكم إلى المفاوضة فأجبناكم إلى طلبكم . ونحن على أقوى ما يكون من الحال . وأحب أن أذكرك قبل كل شيء أن المفاوضة يجب أن تكون مع قوم يحاربون بشرف ويسلمون بشرف بادوليو : إننا ما زلنا نحاربكم بشرف

السيد عمر : يسوءني جداً أن أقول إننا نحارب منكم خصوصاً غير شرفاء بل ليست فيهم ذرة من الشرف

بادوليو : إنني لا أحتمل منك هذا التعبير يا سيد عمر

السيد عمر : لا يهمني يا مارشال بادوليو أن تحتمل هذا أو لا تحتمله .

إن أعمالكم في هذه البلاد ناطقة بخلوكم من المروءة والشرف .
لا أريد أن أحاسبكم على ما فعلتم بالمحاربين أو أسرى الحرب
الذين يقعون في أيديكم كيف تعاملوهم بنذالة واؤم ، فإن
حسابا كهذا أعلى من أن يطالب به قوم مثلكم . وإنما
أحاسبكم على ما فعلتم بالعرب المسلمين لكم ، فقل لي يا مارشال
بادوليو أمن الشرف ما فعله (مزيتي) بقبيلة العبيدات
المسلمين لكم كيف جردهم من كل ما يمتلكون حتى انتزع
حلي النساء من آذانهن ؟ أمن المروءة ما فعله (لوييلو) مع
عائلة ابراهيم العواقيروهم مسالمون أيضا حيث أخذ منهم
أربعين رجلا وقتلهم بالرصاص وأمر بالسيارات أن تمر
عليهم فما زالت تدهسهم ذهابا وإيابا حتى اختلطوا بالتراب ؟
أمن الشهامة أن تائقوا بالمسلمين من علو أربعة متر من
طائراتكم وتقولوا لهم « دعوا نبيكم البدوي ينقذكم » ؟ . أمن
الشرف يا بادوليو أن تعتدوا على أعراض نساء المسلمين
لكم وتأتوا من ذلك ما يرفض له جبين الشرف خجلا ؟ إن
لكم أن تدعوا كل شيء الا شيئا واحدا هو الشرف

بادوليو : أظنك توافقني يا جناب السيد عمر أننا لم نجتمع لتقديم حسابا
عما كان منا ومهكم ، وإنما أردنا أن نضع حداً تنتهي إليه
الحروب التي منعت البلاد من العمران الذي جئنا من أجله

ولولا هذه الحروب لرأيت بلادك في حالة أخرى لم تكن
تخطر على بالك

السيد عمر : صحيح أن البلاد كانت تكون في حالة أخرى لولا هذه
الحروب ، ولولا هذه الحروب أيضا لما رأيت فيها اليوم
عربيا يمشى على وجه هذه الأرض ولرأيت فيها إيطاليين
يسكنونها ويعمرون دور الوطنيين

بادوليو : أنا لم أقصد هذا ، وإنما أردت العمران وكثرة المزارعات
وتشجيع الصناعة والتجارة ، وإني أوعى ألا تنتهى هذه
الجلسة حتى نتفق على ما فيه خير البلاد

السيد عمر : إن حكومتك قد اتفقت مع الطراباسيين وتعهدت لهم
بشروط ، ولسكنها لم تف لهم بشيء منها . فإن كان مصير
هذه الهدنة مصير سابقاتها فاللهم لا خير لنا فيها

بادوليو : كلا لن يكون مصير هذه الهدنة مصير سابقاتها إذا توفر
حسن النية منا ومنكم

السيد عمر : لقد أمليت شروطنا وسلمتها لوكيلك الجنرال سيشلياني
في الجلسة السابقة ، فهل لديك اعتراض عليها ؟

بادوليو : ألم تجروا أى تعديل في تلك الشروط ؟

السيد عمر : كلا ، إن شروطنا ليست مكتوبة على الورق فحسب ، بل
هى منقوشة في قلوبنا جميعا ، فإذا سألت أى واحد من

رجالاً هؤلاء فسيمليها عليك كما أمليتها دون أن يخرم
منها حرفاً

بادوليو : سيكون لك ماتريد فقد أرسلت هذه الشروط إلى حكومتى
فوافقت مبدئياً على أهم فيها . وإنى مستعد لتوقيعها إلا أنى
أشترط أن يكون ذلك فى بنغازى

السيد عمر : لا أرى أى معنى لهذا الإشتراط ، على أنه لا مانع عندى
من ذلك فليذهب السيد حسن بن الرضا السنوسى لينوب
عنى فى توقيعها

بادوليو : لو وقعتهما أنت بنفسك كان ذلك أفضل

السيد عمر : ما أنا إلا فرد من المجاهدين ، وإن أى واحد منهم يجرىء
عنهم ما دام يعمل لصالحهم ، فإذا خان إخوانه المسلمين
فليس حيثئذ منهم فلا يلزمنا توقيعهم . إن الديمقراطية
هى جزء من حياة العرب لا يستطيعون أن يعيشوا بدونها
وأساس من أسس الإسلام لا يمكن الإخلال به

بادوليو : أمّا إذا اخترت السيد الحسن السنوسى لتوقيعها فليكن
ما أردت

السيد عمر : (للحسن) إنك تحفظ الشروط يا بنى فوقّعها هناك بالنيابة
عنى وعن إخوانك المجاهدين

الحسن : سأفعل يا سيدي المختار

(ينصرف المرشال بادوليو وجماعته ومعهم السيد الحسن السنوسي)

الفضيل : لا أكتملك يا سيدي أن في نفسي شيئاً من هذا الشاب ،
وأخشى أن يستميله الظالمين إليهم فيوقع لهم على شروط
غير شروطنا

السيد عمر : إني أشاركك في هذا الرأي يا فضيل ، بل أكاد أجزم
بأنهم سيمنون الحسن بالباطل فينخدع لهم . ولكن دعهم
يفعلوا ودعه يقبل عرضهم ليتأقوا بعد ذلك درساً يتيقنون
به أن انحيازهم إلى أي خائن مهما كان نسبته ومنزاته فينسا
ليتخذوه مطية لهم ضد الأمة لن ينفعهم شيئاً ولن يؤثر
في مركز الأمة المجاهدة . وقصاري ما تفعل أنهما تقبرا
منه وتنبذه نبذ النواة

الفضيل : ما أبعد نظرك يا شيخني وأسد حكمك . والله لا أعارضك
بما اليوم أبداً

السيد عمر : كلا لا تفعل فلا غنى لي عن مشورتكم واعتراضكم . هيّا
بنا إلى الجبل

الفضيل : هيّا بنا

(ينفى السيد عمر وجماعته وهو يترنم بنشيدهم)

كيف نخضع للظلمين ؟ أمة الغدر والنهب ؟
كيف يملكنا العبدان ؟ نحن أحرار العرب ؟
دون ذاك الموت الزؤام دون ذاك الحرب الزبون

حتى تشهد الأقسامُ أننا لا نخشى المنون
 إن نمت متنا شهداً أو نعش عشنا أحراراً !
 الردى ما أحلى الردى وأقياً من حياة العار !
 الجبال مياديننا ومعاقنا الباترات !
 والجراح نياشيننا فوق أكتافنا لامعات !
 لو تحاربنا الدنيا كلها لا نباليها
 بسوى العز لا نحيا أبداً بين أهليها

الفصل الثاني

بعد مضي سنتين من حوادث الفصل الأول

المشهد الأول

في بيت السيد عمر المختار بالجبل الأخضر — بعد صلاة
المغرب — يجلس الزوجان ضرغام وفاطمة بفناء البيت بينما كان
السيد عمر المختار في مصلاه يتلو القرآن كعادته

فاطمة : تعال يا ضرغام فاجلس هنيئة معي

ضرغام : حببًا يا بنت عمي وكرامة

فاطمة : أما تذكر هذه الليلة بشيء ؟

ضرغام : ماذا تعنين يا فاطمة ؟

فاطمة : لقد مرّ على زواجنا الليلة عامان يا ضرغام

ضرغام : عامان !

فاطمة : نعم في مثل هذه الليلة زوّجنا سيدنا ووالدنا السيد عمر المختار

ضرغام : صدقت يا فاطمة ، إنك لجيدة الذاكرة

فاطمة : من ذا ينسى تلك الليلة السعيدة ؟

ضرغام : أجل ، حيث امتلأ هذا الفناء بالمجاهدين من كل صوب

فأخذوا يأكلون ويشربون ويترنمون بأغانهم الرقيقة حينما

والخامسة حيناً وسيدنا المختار يطوف عليهم ضاحكاً مستبشراً
يرحّب بهم ويلاطفهم ولا يبتخل عليهم بالنسكة بعد النسكة
يطرفهم بها

فاطمة : يخيل لي أن أبي يرحمه الله — لو عاش لما فرح ببليلة زواجي
ما فرح السيد عمر المختار

ضرغام : أجل ، إنه يعاملنا معاملة الأب الشفوق . ولو رأيته
يا فاطمة وهو يدفع بي في المعارك حيناً ويقيني بنفسه حيناً
لرأيت كيف يربي الأسد المحصور شبله العزيز عليه

فاطمة : إنني والله لا أدري كيف أقوم بشكر هذا البطل الذي
تبتسأني ورعاني وفتح لي بابه وصدره

ضرغام : وأطعنني من ذل الأسر ليجمع شملتي بشملك ويجعلني رجلاً
أجاهد معه أعداء الله وأعداء الوطن حتى ألقى الله عز وجل .
صدقيني يا فاطمة أنتي لم أذق لذة الحياة إلا في كنف هذا
الشيخ المجاهد . إنك تعلمين مقدار حبي لك وأني إذا ودّعتك
صباحاً لا أطمع في رؤيتك مساء وإذا ودّعتك مساء
لا أطمع في لقائك صباحاً ولكني مع ذلك سعيد

فاطمة : أما أنا يا ضرغام فإني أموت وأحيا مرتين كل يوم . أموت
عند ما تخرجان للقتال خوفاً عليكما ، وأحيا عند ما أراكما
أنت وسيدى المختار عائدین سالمين . ولا أدري يا ضرغام
متى ينتهي هذا الحال ؟

ضرغام : سيدتهى هذا الخال يا حبيبتى بالنصر أو بالجنة !
 فاطمة : إني والله لأشفق على سيدنا الشيخ وهو يقاتل ليلاً ونهاراً
 صابراً محتسباً لله وقد بلغ من السكر عتياً وماتت زوجته
 العزيزة عليه فلم يجد ساعة يذرف فيها دموعه عليها

ضرغام : أعانه الله وقواه . لئن وهن جسمه فما وهن عزمه . وقد
 ظلمت زمناً أرصد هذا الرجل لعل أرى وهنا يدرك عزمه
 أو يأساً يتسرب إلى قلبه في أحلك الساعات، فما وجدت
 شيئاً من ذلك . غير أنه جزع ثلاث مرات : يوم واقعة
 (كرسية) حيث استشهد ذلك المجاهد العظيم الفضيل
 بو عمر . ويوم نقل الطليان العرب من حوالى الجبل الأخضر
 وهم ثمانون ألفاً الى (العقيلة) حيث يموتون بالجوع والمرض
 ليفصلوهم عن المجاهدين حتى يبقى المجاهدون فى عزلة تامة .
 والثالثة يوم احتلوا (الكفرة) معقل السادة السنوسية
 وارتكبوا فى أهلها الفظائع التى تقشعر من هولها الأبدان

فاطمة : إني والله فهو يحترم السادة السنوسية احتراماً عظيماً
 ضرغام : أتذكرين يوم نقض طاعته السيد الحسن السنوسى ووقع
 على شروط الطليان المهينة بدلاً من الشروط التى كتبها
 السيد عمر وانتجى الحسن جانباً منه يحرّض الناس على
 الخروج عليه والولاء للطليان : فقد أشار عامة المجاهدين

حينئذ على السيد عمر بقتله أو طرده من البقعة التي كان فيها فأبى السيد عمر حتى يئس الطليان من نجاح الحسن فساقوه ذليلاً مهيناً إلى بنغازى وتفرق عنه جيشه الذى كان المجاهدون يدعونه (جيش الدقيق)

فاطمة : نعم رأيت السيد عمر يبكى ذلك اليوم رثاء للسيد الحسن

ضرغام : هذا سواد شخص مقبل يا فاطمة

فاطمة : يظهر لى أنه المجاهد يوسف بورحيل

ضرغام : لا بد أن أمراً هاماً جاء به فى هذه الساعة التى يخلو فيها

السيد عمر لتلاوة القرآن (يقبل يوسف بورحيل)

يوسف بورحيل : السلام عليكم ورحمة الله

ضرغام : وعليك السلام ورحمة الله

يوسف بورحيل : ضرغام وفاطمة . . كيف حالكما يا ولدى ؟

فاطمة : بنعمة الله يا عمّاه

يوسف بورحيل : أدام الله لكما السعادة . أين سيدنا الشيخ ؟

فاطمة : فى مصلاه

يوسف بورحيل : استأذننى لى على أهلك يا فاطمة

فاطمة : مرحباً بك . . سأستأذن لك عليه (تدخل فاطمة)

ضرغام : هل من نبأ جديد يا عم ؟

يوسف بورحيل : سأخبرك به فيما بعد

(تعود فاطمة)

فاطمة : يقول أبي السيد تفضل

يوسف بورجيل : شكرا لك (يدخل بورجيل)

فاطمة : ترى ما تضرر لنا هذه الليلة من الحوادث . لا أكتملك

يا ضرغام أنى أحس بقلق لم أشعر بمثله قط من قبل

ضرغام : هدئي روعك يا حبيبتي . إنما بك وحيم الحمل . هذا الجنين

الذى يضطرب فى أحشائك يأتى إلا أن يوذيك ليشعرنا

بأنه قادم إلى هذا العالم كى نستعد له ونحتفل به

فاطمة : (تبكى)

ضرغام : ماذا يبكيك يا فاطمة ؟

فاطمة : (تسمر فى بكائها)

ضرغام : وحق أبيك المختار قولى لى فيم تبكين ؟

فاطمة : أخشى يا ضرغام أن لا ترى هذا القادم الصغير !

ضرغام : قولى خيراً من هذا يا فاطمة . بل سأراه وأفرح به إن شاء

الله . وإذا كتب الله لى الشهادة قبل أن تراه عيني فستراه

عين أبيك البطل ، وهو يا حبيبتي خير له منى

(يخرج المجاهد يوسف بورجيل من مملى السيد عمر المختار)

يوسف بورجيل : هل لى أن أقول لك كلمة يا ضرغام ؟

(يفردان ناحية وتتوارى فاطمة)

يوسف بورجيل : اسمع يا بنى . قد بلغنا أن الطليان جادون فى البحث عن

سيدنا الشيخ للقبض عليه ، وهم يعلمون أنه يخرج بنفسه

لاستكشاف مواقع العدو ليلاً كمعادته . وقد ناشدته الليلة
 أن ينقطع عن هذا العمل ويكمله إلينا لنقوم به دونه فلم
 يقبل وأصر على الخروج كمعادته . وهو الليلة خارج إلى
 ناحية « سلنطة » ليرى مواقع العدو بها تمهيدا لغارة يشنها
 عليهم . فعرضت عليه أن أعجبه فلم يقبل وكفني بمهمة
 أخرى . وإني لا أثق بأحد غيرك يا ضرغام فالزمه ولا تفترق
 عنه بحال من الأحوال

ضرغام : سأفعل يا عم . والله لا يصارون اليه حتى أقتل دونه
 يوسف بورحيل : ذلك الظن بك يا بني . إلى اللقاء غداً إن شاء الله .. أستودع
 الله دينك وإيمانك
 ضرغام : أستودع الله دينك وإيمانك .. إلى اللقاء

المشهد الثانى

نزل قنصاء الله ووقع البطل العظيم السيد عمر المختار فى أسر
الطليان بعد أن قتل جواده وجرح هو واستشهد المجاهد الشاب
طرغام وكثير من المجاهدين — فدخل السيد عمر فى طيارة إلى
(سوسة) ثم أركب البحر إلى بنغازى

والمشهد الذى نحن فيه فى دار مجلس النواب فى بنغازى وقد
اكتملت الهيئة العسكرية لمحاكمة البطل الأسير . وأحضر السيد
عمر المختار من سجنه يرسف فى قيوده وعلميه جلال المشيب حتى
أوقف فى قنص الانهام . ثم نودى عليه وبوشر فى استجوابه

المستجوب : ما اسمك ؟

السيد عمر : عمر المختار

المستجوب : ما تاريخ ميلادك ؟

السيد عمر : سنة ١٢٧٧ هجرية

المستجوب : فى أى سنة ميلادية ؟

السيد عمر : هذا شأنك أنت فاحسب إذا شئت

المستجوب : عمرك الآن ثلاث وسبعون سنة ؟

السيد عمر : نعم

المستجوب : فى أى بلد ولدت ؟

السيد عمر : فى البلاد التى يريد الطليان أن يخرجوا أهلها العرب منها ؛

فى برقة

المستجوب: هل أنت رئيس الشوار ضد إيطاليا ؟

السيد عمر : نعم أنا رئيس المجاهدين ضدها

المستجوب: هل حاربت الدولة ؟

السيد عمر : نعم حاربت الدولة المعتدية على بلادى

المستجوب: هل أمرت بقتالها ؟

السيد عمر : نعم لأن دينى يأمرنى بقتال المعتدين

المستجوب: هل اشتركت فى القتال اشتركا فعليا ؟

السيد عمر : سلوا الناجين من ضباطكم وقوادكم وفلول جيشكم يخبروكم

أنى لست بمن يأمر بشيء ولا يشترك فيه

المستجوب: كم عدد المعارك التى خضت غمارها ضد الدولة ؟

السيد عمر : سلوا الجنرال جرازيانى يخبركم أن المعارك التى دارت بينى

وبين جنوده فى مدة عشرين شهراً يبلغ عددها مائتين

وثلاثاً وستين معركة . أما ما قبلها من المعارك فى مدة

عشرين سنة فلا أستطيع إحصاءها إلا إذا أحصيت فظائعكم

ومخازيكم فى هذا الوطن

المستجوب: كيف كنت تعامل الأسرى الايطاليين ؟

السيد عمر : سلوا من أطلقنا منهم فى الهدنة يخبروكم أن العرب

المجاهدين كانوا يؤثرونهم على أنفسهم فى المأكل والمشرب.

وخير لكم أن تسألوا أنفسكم كيف كنتم تعاملون أسرى العرب

المستجوب: هل أمرت بتحصيل الاعشار من الأهالي؟

السيد عمر: نعم للقيام بنفقات الجهاد في سبيل وطنهم ودينهم

المستجوب: هل كنت بهذه الطريقة تبتز أموال الأهالي؟

السيد عمر: ان دولتكم التي عرضت على مليون فرنك هدية منها لي

ومعاشاً شهرياً قدره خمسون الف فرنك فرفضتهما هي التي

ابتزت أموال البلاد وصادرت أملاك أبنائها

أصوات: كفى استجواباً! قروا عليه حكم الإعدام

الرئيس: قد ثبتت إدانتك وحكمت عليك المحكمة بالإعدام

السيد عمر: الحمد لله هذا ما كنت أتوقعه من دولة لا تعرف الشرف

العسكري؛ ولو كنت أمام أمة أخرى غيركم لرجوت أن

تعاملني معاملة أقل لؤماً من هذه كما عومل الأمير

عبد القادر الجزائري وأحمد عرابي باشا المصري والأمير

عبد الكريم المراكشي

الرئيس: أي مية تختار لتنفيذ حكم الإعدام عليك؟

السيد عمر: أشكركم على هذا الكرم. ان كان لي الخيار فأني أؤثر أن

تلقوني من عاوار بعائة متر من إحدى طائراتكم وتقولوا لي

دع نبيك البدوي ينقذك

الرئيس: يؤسفنا أن لا نجيبك إلى طلبك هذا ولكن ستعدم شنقاً

السيد عمر: هذا أشبه بكم وأخلق بشهامتكم

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان لله مصرعي

الرئيس : هل لديك ما تقول فوق ما تقدم؟

السيد عمر : نعم ، رسالة صغيرة تخملونها عنى إلى زعيمكم الدوتشى

الرئيس : قلها ماهى؟

السيد عمر : إن الدوتشى يحلم باعادة الامبراطورية الرومانية ، فقولوا له

إن الطليان غير الرومان ، فإن كان جاداً فيما يريد فليأتهم

له أمة غير الطليان جديرة بتحقيق حلمه العظيم !

الرئيس : ولسكن الدوتشى الذى تذكره هو من صميم الطليان

السيد عمر : فقولوا له إذن انه لاخير فيه لنفسه ولا لأمة !

الرئيس : اتقول هذا وانت تساق إلى الإعدام؟

السيد عمر : تستطيعون إعدام شيخ طاعن فى السن مثلى ، ولسكنكم

لن تستطيعوا إعدام الروح التى يتجدد شبابها بتجدد الأيام

فارس اليلقنا
ابو شحج الشققي

أشخاص المسرحية

أبو محجن الثقفي فارس البلقاء
سعد بن أبي وقاص أمير الجيش والقائد العام
خالد بن عرفطة نائب القائد العام
القحطاع بن عمرو
المغيرة بن شعبة
سلمى بنت أبي خصفة زوج سعد (يسمع صوتها)
غلمان لسعد يقومون على خدمته

الفصل الأول

في القادسية في موضع بين العتيق وبين الخندق ، حيث دارت معارك القادسية بين فارس والمسلمين — في يوم أغوات وهو اليوم الثاني من أيام القادسية ، يقف المسلمون أمام قصر قديس وهو حصن كان للفرس هناك ، اتخذهُ سعد ابن أبي وقاص مقاماً له لمرضه بعرق النساء والدمامل ، وعجزه بذلك عن الحركة فضلاً عن الركوب والخروج إلى ساحة القتال . فبقى سعد بالقصر يدير دفعة القتال من شرفة القصر الدنيا ، حيث يطل على الميدان وهو مكب على وجهه وعلى صدره الوسائد من علته وضعفه . وقد اختار خالد بن عرفة العذري ليقوم مقامه في مباشرة القيادة العامة ، وأمره بالوقوف تحت القصر ، قريباً من سعد ، وسعد يصدر إليه أوامره فينفذها خالد ويبلغها القواد بواسطة مبلغيين أقامهم صفوفاً ثلاثة في اتجاهات مختلفة أحدها إلى اليمين ، والثاني إلى القلب ، والثالث إلى اليسرة ، فكان هؤلاء أداة الاتصال بين القواد في مقدم الصفوف وبين القائد العام . وكان المسلمون قد اتقوا في اليوم الأول وهو يوم أرمات بلاء كبيراً من العدو ، وكادت الدائرة تدور عليهم ، لو لم ينجح جماعة من أبطالهم في قطع روض فيلة العدو وتعطيلها بذلك عن العمل .

يظهر على المسرح الجزء الأمامي من قصر قديس وهو حصن قليل المناعة مدور البناء ، له شرفة مدورة مثله ، تتصل بها عن يمين المسرح غرفة تقيم بها سلمي بنت أبي خصفة زوجة سعد ، وتحت هذه الغرفة مخبئ يسجن فيه أصحاب التبعات ، وله شباك من الحديد يشرف على ميدان القتال

يرى سعد على سريرده في الشرفة ، مكباً على وجهه ، معتمداً يديه على حافة الشرفة ، مطلاً على ساحة القتال ، وعنده ثلاثة من غلمانة يتولون شأنه ، ويقومون بخدمته . ويرى خالد بن عرفة واقفاً على مصطبة تحت القصر تدور حيث دار القصر . وإمامه ثلاثة من الرجال هم أوائل الصفوف الثلاثة المبلغيين

- سعد : (لأحد غلمانه) انزل يا غلام فأوصل القعقاع بن عمرو إلى
- الغلام : سمعاً يا مولاي (ينطلق موجهاً إلى يسار الشرفة حيث يغيب)
- سعد : (يرفع بصره إلى السماء) اللهم هذه فارس قد خرجت بجموعها
وفرسائها فإن لم تنصرنا اليوم عليها هلك المسلمون ! اللهم
انصر المسلمين وثبت أقدامهم ! اللهم فأنجز لنا وعده !
(يعود الغلام ومعه القعقاع بن عمرو)
- القعقاع : السلام عليك يا أمير الجيش
- سعد : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته . . اهلاً بك يا قعقاع . .
اعذرني إذ لم أقم إكراماً لك ، فإنني كما ترى عليل
لا أستطيع الحركة
- القعقاع : (يصافح سعداً) لا بأس عليك يا سعد . أبشرك بستة آلاف
قادمين على أثرى مددا لك
- سعد : مرحباً بكم . . لقد جئتمونا أحوج ما نكون إليكم . فكيف
تركت إخواننا بالشام ؟
- القعقاع : تركتهم وقد دخلوا دمشق
- سعد : أوقد فتح الله دمشق للمسلمين ؟
- القعقاع : نعم وهم ماضون لفتح سائر بلاد الشام
- سعد : الحمد لله وحده صدق وعده !
- (لخالد بن عرفة تحت القصر) يا خالداً بشّر المسلمين بأن الله قد فتح
لإخوانهم دمشق وهزم الروم .

خالد : يا معاشر المسلمين : أبشروا فقد فتح الله لإخوانكم دمشق وهزم الروم !

المبلفون : يا معاشر المسلمين : أبشروا فقد فتح الله لإخوانكم دمشق وهزم الروم !

أصوات الجموع : الله أكبر ! الله أكبر !

سعد : (القعقاع) إني لأرجو أن يهزم الله لنا هذا العدو الأشد كما هزم أولئك :

القعقاع : إن شاء الله .

سعد : أين أميركم خالد بن الوليد ؟

القعقاع : قد استبقاه أبو عبيدة عنده بالشام .

سعد : ألم يأمره أمير المؤمنين بارسال خالد إلينا ؟

القعقاع : ورد عليه كتاب أمير المؤمنين بارسال الجيش العراقي

مدداً لك ولم يذكر فيه خالداً بالتحمين ، فرأى أبو عبيدة استبقاءه عنده لقتال الروم .

سعد : غفر الله لأبي عبيدة : هلا أمدنا بسيف الله فنحن أحوج

إليه منهم . لقد لقينا من هؤلاء وفيلتهم أمس بلاء كبيراً .

فلهن عقد إمارتكم ؟

القعقاع : لليث عادياً . . . لابن أخيك هاشم بن عتبة .

سعد : نعم ابن الأخ هو . ولسكن أين هاشم من سيف الله ؟ لقد

نظر أبو عبيدة لنفسه إذ ضنَّ بخالد على

القعقاع : أما إنك لو شهدت بلاء ابن أخيك في قتال الروم لسرك
أن تراه ولو كان بعين واحدة !

سعد : أوقد أصيب في عينه ؟

القعقاع : نعم ، فقئت عينه يوم اليرموك .

سعد : في سبيل الله ما لقيت عينه ! عوّضه الله خيراً منها ! متى
يقدم هاشم ؟

القعقاع : ما إخاله يصل إلينا بمعظم الجيش قبل صباح الغد . فقد
سرّحني قبله في ألف أمرتهم فتقطّعوا أعشاراً كلها بلغ
عشرة منهم مدى البصر سرّحوا في آثارهم عشرة . وهأنذا
جئتك في العشرة الأولى

سعد : أردت بهذا تنشيط المسلمين ؟

القعقاع : إى والله وإرهاب العدو

سعد : لله درك يا قعقاع . والله إنى لبقدومك أفرح منى بقدوم
ابن أخى . رحم الله أبا بكر . لقد قال فيك قولا تحسد عليه
إلى الأبد : صوت القعقاع في الجيش خير من ألف رجل ،
لا يهزم جيش فيهم القعقاع

القعقاع : لعل الله يجعلني جديراً بثناء خليفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم

(يلتفت إلى جنود المسلمين في الميدان) ما لهؤلاء وقوفا ؟
ألا يبتدون القتال ؟

سعد : إنهم قد سوّوا صفوفهم ، وأمرت الشعراء والخطباء أن يحرضوهم على الثبات وصدق اللقاء ، ويذكروهم بأيام الله وأيام العرب ، وهم ينتظرون التكبيرة الثالثة وتلك جيوش العدو ما زال ترد كراديسها وتنثال جموعها .

القحقاع : سنجعلها لسيوفنا جزرا إن شاء الله . فأين فيلتهم ؟

سعد : لعلمهم لا يقاتلوننا بها اليوم ، فقد قطع المسلمون وضئها أمس .

القحقاع : أما والله لئن عاد بها رستم اليوم لأجعلنّ للمسلمين منها مخرجا ، ثم لأزعجنّ خيوله بفيلة العرب !

سعد : وما فيلة العرب ويحك ؟

القحقاع : الإبل نجعلها ونبرقعها بالسواد !

سعد : لله أبوك : قد عرفتك ذا بسالة في الحرب ، فاذا أنت أيضا

ذو حيلة فيها وكيد . عمن تلقيت هذا ويحك ؟

القحقاع : عن خالد بن الوليد تلقيت ، ومن بحره استقيت

سعد : إنه البحر لا تكدره الدلاء

القحقاع : أفلا تأذن لي في الخروج إلى الناس ؟

سعد : أجل قد حبستك عنهم ، فأخرج مباركاً للمسلمين فيك

(يخرج القحقاع من حيث دخل)

صوت في الميدان : أيها الناس : احمدا الله على ما هداكم وأبلاكم يزدكم ، فإن

الجنة أو الغنيمة أمامكم ، وإنه ليس وراء هذا القصر

إلا العراء والأرض القفر ، والفلوات التي لا يقطعها الأدلة

سعد : (لخالد) من هذا يا خالد ؟

خالد : هذا قيس بن هبيرة الاسديّ

سعد : ما أحسن ما قال !

صوت آخر : أيها المسلمون : صدقوا قولكم بفعل . فقد حمدتم الله على ما هداكم له ووحدتموه ، وآمنتم بنبيه ورسله فلا تموتنّ إلاّ وأنتم مسلمون . ولا يكونن شيء أهون عليكم من الدنيا ، فإنها تأتي من تهاون بها ، ولا تميلوا اليها فتهرب منكم . انصبروا الله ينصركم !

سعد : من هذا ؟

خالد : هذا بusr بن أبي رهم الجهنيّ

سعد : أحسن والله القول

صوت آخر : يامعاشر العرب : إنكم أعيان العرب وقد صمدتم لأعيان القوم ودهاقينهم . وإنما تخاطرون بالجنة ويخاطرون بالدنيا ، فلا يكوننّ على دنياهم أحوط منكم على آخرتكم . لا تحدثوا اليوم أمراً تكونون به غداً شيناً على العرب !

سعد : أهذا عاصم بن عمرو !

خالد : اجل .

سعد : لا فوضّ فوه !

صوت آخر : يامعاشر العرب : قاتلوا للدين والدنيا ، وسارعوا الى

منفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت
للمتقين . وإن عظم الشيطان عليكم الأمر فاذكروا
الأخبار عنكم غداً بالمواسم ما دام للأخبار أهل :

سعد : ما أبانغه : من هذا ؟

خالد : هذا ربيع بن البلاد السعدي .

صوت آخر : يا معاشر العرب : لقد سمعت رستم يقول : أكل عمر بن الخطاب
كبدى ! وإن الحديد لفي أيديكم ، وإن الإيمان لفي قلوبكم ؛
فحقّقوا بهما قول رستم ، ثم أروه أن أمير المؤمنين لن
يكتفى بكبده حتى ينال كبد بلاده أجمع فيطعمها خالصة
للمسلمين . إنكم إذ تقاتلونهم إنما تنتظرون ميراثكم وموعد
ربكم إذ قال عز وجل : ولقد كتبنا في الزبور من بعد
الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون !

سعد : هذا ورب الكعبة صوت المغيرة بن شعبه

خالد : أجل إنه هو . وهذا أبو محجن الثقفي قد أقبل يتهادى
في الناس

سعد : لعله يريد أن ينشدهم شعراً

صوت أبي محجن : أيها الناس : لقد سمعتم هؤلاء فأصغوا الآن لقولى

صوات : هات ما عندك : قل يا أبا محجن !

صوت أبي محجن: (يترنم)

إذا متُّ فادفني إلى أصل كرمة

تروى عظامي بعد موتي عروقها !

ولا تدفني في الفلاة ، فأنني

أخاف إذا ما متُّ أن لا أذوقها !

اصوات : اسكتْ أخزأك الله ! ألهذا دعوتنا أن نسمع ؟

سعد : (يفضض) ما إخال الشقي إلا سكران .. أسكتوه واثتوني به

خالد : أسكتوه واثتوني به !

(يظهر ثلاثة من الشرطة أمام خالد وهم يسوقون أبا محجن امامهم وهو يترنح

ترنح الثمل)

خالد : اصعدوا به إلى الأمير

(يمثل أبو محجن أمام سعد وحوله الشرطة)

سعد : ويلك يا أبا محجن . أما تستحي أن تلتقي على المسلمين في موقف

كهذا أشعاراً في الخمر ؟

أبو محجن : إنما هي أبيات هجمتُ على خاطري فترنمت بها . وأنت تعلم

أن لو اشتيت عيني رؤية الخمر لما وجدتُ إليها سبيلاً في

هذا القفر . فلا أقل من أن أتغنى بها .

سعد : هلا حَرَضت المسلمين بشعرك على الجهاد كما فعل الشماخ

والحطيئة وعبدية بن الطيب وأوس بن مغراء ؟

أبو محجن : ما يسرني أن أكون مثلهم . إنما هؤلاء قوَّالون وليسوا

بفعَّالين . إنهم لا يبلون في الحرب بلأئى ولا يغنون غنائى .

سعد : ما ضرك لو جمعت بين الحُسْنَيْنِ ، فأريتنا خيرك ،
وكففت عنا شرك .

أبو محجن : إني لأعلم بنفسى منك ياسعد ، لقد حاسبت نفسى فوجدت
أن خيرى يرجح على شرى

سعد : (يحد النظر إليه) ما هذا الترنح فى عطفيك ؟ أجمتني شارباً
يا فاسق ؟ هلمّ ادنْ منى

أبو محجن : من الخير أن لا تشم فى ياسعد ، فربما تجد فيه عبق الخمر
من طول ما شربتها فى العهود السالفة

سعد : دعنى من اعتذاراتك . . ادنْ منى !
(يدنو أبو محجن من سعد)

سعد : (يشم رائحة الخمر من فيه) لقد والله شربتها اليوم ولم تتب ،
بعد أن حُددت فيها مرة بعد مرة

أبو محجن : إى والله لقد باكرتها اليوم مشعشة صافية ! وستقيم على
الحدّ فأشربها غداً وتقيم الحدّ فأشربها بعد غد !
سعد : ويلك ما أجراك على الله ! أتعتقد حلّها !

أبو محجن : (مستظلاً) أعتقد حلّها ! لا والله لأن تتخطفنى الطير ،
أو تنزل على رأسى صاعقة من السماء أهونُ علىّ من أن
أحلّ ما حرّم الله . ولكنى أرجو مغفرة ربى سبحانه ،
ورحمته التى وسعت كل شيء فلا تضيقها ياسعد

سعد : والله لأقيمَنَّ عليك الحد ، ولأتمنَّيها ثمانين جلدَةً
سُنَّةَ عُمْرٍ !

أبو محجن : والله لا أبالي أربعين أو ثمانين أو أكثر . فاني لا أخاف
الحد ، بل أستحبُّه كفارة لي ترحض عني الإثم وتمحو
الخطيئة . بيد أني أنشدك الله يا أمير الجيش أن تؤجل ذلك
حتى أشهد حرب اليوم ؛ فإن أكرمني الله بالشهادة ، فلن
يضرني معها كأس شربتها مُترعة ! وإلا ففي غدٍ متَّسع
لإقامة الحدود .

سعد : لقد شغلتنى وشغلت المسلمين لحاك الله ! والله لأحبسَنَّكَ
إلى الغد

(للشرطة) خذوه إلى الحبس !

أبو محجن : لا ياسعدُ سعدُ بنى وُهييب ، ياخال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، أبلغني ريتي !

سعد : قد فعلت فماذا أنت قائل ؟

أبو محجن : أعفني من الحبس ودعني أقاتل مع المسلمين ، فما ينبغي
لفارس مثلي أن يحبس اليوم ، ثم اصنع بي بعد ذلك ما تشاء

سعد : لا أعفيك من الحبس حتى تعاهدني أن لا تعود إلى الخمر أبداً

أبو محجن : لا أرضى لنفسي الكذب على ربِّي وعلى الناس . أما التوبة
عن الصهياء فلا !

- سعد : إذَنْ فَأِلَى الْمَحْبَسِ !
- أبو محجن : إذَنْ تُحْرِمُ الْمُسْلِمِينَ بِلَاءِ سَيْفِي
- سعد : لَا حَاجَةَ بِالْمُسْلِمِينَ إِلَى سَيْفِكَ . إِنْ أَنْتَ مِنَ الْقَعْقَاعِ بْنِ عَمْرٍو وَطَلِيحَةَ بْنِ خُويلدَ وَالرَّبَّيْلِ بْنِ عَمْرٍو وَحَمَّالِ بْنِ مَالِكٍ وَابْنِ ثُورٍ عَمْرٍو بْنِ مَعْدٍ يَكْرِبُ وَأَوْلَئِكَ الْأَبْطَالُ ؟
- (للشرطة) أَخْرِجُوا بِهِ إِلَى الْمَحْبَسِ فَتَقَيَّدُوا يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ (يسوقه الشرطة أمامهم حتى يظهر في المحبس من شباك الحديدي والقيد في يديه)
- سعد : (لخالد) مَاذَا جَدَّ عِنْدَكَ يَا خَالِدُ ، فَقَدْ شَغَلَنِي هَذَا الثَّقَفِيُّ الشَّقِيُّ ؟
- خالد : إِنْ النَّاسُ قَدْ اسْتَبْطَأُوا تَسْكِينَتَكَ الْثَالِثَةَ . وَتِلْكَ جَمْعُ الْعَدُوِّ قَدْ تَكَامَلَتْ صَفُوفُهَا ، وَذَلِكَ رَسْتُمْ كَبِيرُ الْقَوْمِ قَدْ خَرَجَ . وَمَا أَرَى إِلَّا أَنَّهُمْ سَيَبْدَأُونَ الْقِتَالَ
- سعد : أَلَمْ تَأْتِ فِيلَتَهُمْ ؟
- خالد : مَا أَحْسَبُهُمْ يَقَاتِلُونَ بِهَا الْيَوْمَ ، وَلَوْ أَرَادُوا ذَلِكَ لَقَدْ أَخْرَجُوهَا
- سعد : الْحَمْدُ لِلَّهِ . كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ شَرَّهَا . إِنَّكَ يَا خَالِدُ الْحَدِيدُ الْبَصْرَ فَأَشْرُ لِي إِلَى الْجِهَةِ الَّتِي فِيهَا رَسْتُمْ .
- خالد : (يشير بإصبعه) انْظُرْ هَذَا النِّجْوُ ، أَتَرَى شَيْئاً يَخْطِفُ الْبَصْرَ ؟
- سعد : (يحدق) نَسَعَمْ وَيْحَكَ
- خالد : فَهُوَ ذَاكَ مَحْمُولًا فَوْقَ سَرِيرِهِ ، عَلَى رَأْسِهِ التَّاجُ يَلْبَعُ
- سعد : فَلَا كِبَرَ الْثَالِثَةَ إِذَا . . . آذَنَهُمْ بِهَا يَا خَالِدُ

خالد : إن الامير مكبر الآن تكبيرته الثالثة فاذا كبر فليبرز
اولو النجدة من الفرسان أمام الصف ، فإنما أول القتال
المبارزة .

سعد : (بأعلى صوته) الله اكبر !

خالد : (بأعلى صوته) الله اكبر !

اصوات المسلمين : الله اكبر ! الله اكبر ! الله اكبر !

سعد : إن فارس تأخذ بالفأل ، وستختار أشجع فرسانها جميعاً
ليكون أول مبارز . فما رأيك ياخالد أى فرساننا نختار
ليكون أول مبارز ؟

خالد : أرى أن تختار عمرو بن معد يكرب

سعد : أنعم وأكرم بأبي ثور فارس العرب

خالد : أأمره بذلك ؟

سعد : نسعمُ مره فليكن أول مبارز — ولكن مهلاً ياخالد !

هذا فارس قد ندر أمام الصف يطلب البراز فمن هو ؟

خالد : هذا القعقاع بن عمرو التميمي

سعد : دعه فقد اختاره الله وهو أعلم بما يختار . أشهد أن ابا بكر

قال فيه إنه في الجيش خير من ألف رجل

خالد : ليت شعري من يبرز له من فرسان العدو ؟

سعد : إن صدق ظني فسيبرز له ذو الحاجب بطل يوم الجسر ،

فهو أشدهم وطأة على العرب ، وأكبرهم هيبة في صدورهم
منذ مقتل ابى عبيد وسليط وأصحابهما في وقعة الجسر

شماله : ها قد برز فارسهم المّعلم كأنه سارية !

سعد : ساهم من هو

خالد : (لمن يليه من مبلغى القلب) سلوا من فارس العدو

سعد : ها هما يجتلدان . . اللهم ثبت القعقاع

خالد : يتصاولان . . . سترهما الغبار . . . هوى أحد الفارسين !

سعد : اللهم اجعله العالج !

اصوات المسلمين: الله اكبر !

خالد : اجل ، هو العالج الذى هوى

اصوات المسلمين: الله اكبر هلك ذو الحاجب ! يالثرات ابى عبيد وسليط !

سعد : اجل ، يالثرات ابى عبيد وسليط !

خالد : هذان فارسان آخران قد برزا للقعقاع

سعد : ويحه . . أيقاتلهما وحده ؟

خالد : لا فهذا الحارث بن ظبيان قد انضم اليه

سعد : اللهم انصر القعقاع وصاحبه

خالد : هوى فارسان منهم

سعد : اللهم اجعلهما العالجين !

اصوات المسلمين: الله اكبر ! هلك البيروزان !

سعد : ذاك القعقاع وحده ، أين الحارث بن ظبيان صاحبه ؟

خالد : رجع إلى الصنف . اسمع القعقاع يرتجر

صوت القعقاع : (يدوي كالرعد)

قد عليت مصقولة الترائب

ذات العيون السود والحواجب

أني سمّ البطل المحارب

حملت بالسيف على ذي الحاجب

فأصبح اليوم كأمس الزاهب !

والبيرزان رعته بالقاضب

ماضي الغرار كالقضاء الغالب !

سعد : إيه ياقعقاع ! إيه يافارس تميم !

خالد : لم يبرز له أحد من القوم .

صوت القعقاع : يا أبطال المسلمين ! مكانكم ! أمهلوني حتى أقتل من صناديدهم

عدد أيام الشهر ثم ابرزوا لهم .

خالد : ما أرى القعقاع إلا طالباً للشهادة .

سعد : لا تخش عليه .

صوت القعقاع : يا معشر فارس : إن ذا الحاجب كان أقواكم فقتلته ، ولست

بأقوى قومي ! فإن شئتم أن تأخذوا بثأره مني فليبرز لي

أبطالكم واحداً بعد واحد .

خالد : لقد طلب والله أمراً عظيماً .

سعد : لا عظيم على فارس تميم !

خالد : هيا قد برز له فارس من العدو .

صوت القعقاع : أيها المسلمون عدّوا من ثلاثة !

أصوات المسلمين : الله أكبر !

سعد وخالد : ثلاثة . . .

صوت القعقاع : أيها المسلمون ! والله ليقتلنّ أخوكم الثلاثين ، فعدّوا

ولا تكبّروا إلا عند تمام العدّة . فانما الثلاثون من

هؤلاء كواحد منكم !

سعد وخالد : (يمدان باصابعهما) أربعة . . . خمسة . . . ستة . . . سبعة .

ثمانية . . . تسعة . . . عشرة . . . أحد عشر . . .

اثنا عشر . . . ثلاثة عشر . . . أربعة عشر . . . خمسة

عشر . . . ستة عشر . . . سبعة عشر . . . ثمانية عشر .

تسعة عشر .

صوت القعقاع : أعرني سيفك يا طليحة !

خالد : خان القعقاع سيفه .

سعد : لن يخونه قلبه !

خالد : أعاره طليحة سيفه .

سعد وخالد : عشرون . . . واحد وعشرون . . . اثنان وعشرون . .

ثلاثة وعشرون . . . اربعة وعشرون . . . خمسة وعشرون

ستة وعشرون . . . سبعة وعشرون . . . ثمانية وعشرون

خالد : لم يبق إلا اثنان من التكبير .

سعد : أجل . . اثنان

سعد وخالد : تسعة وعشرون .

خالد : انتحى القعقاع جانباً . .

سعد : عجباً . . ماله ؟ أترأه أصيب ؟

خالد : لا أدري .

صوت القعقاع : يامعاشر فارس . ياجنود كسرى ! إنه لم يبق لكم إلا بطل

واحد ليقتلني . نخير لكم أن تدعوا كبيركم رستم يخرج لي

ليحول بيني وبين قسمي الذي حلفته !

خالد : لله أبوه ! يطلب رستم المبارزة . ليت شعري أيرزله رستم ؟

سعد : ماأظنه فاعلاً . . إن كبرياءه تمنعه دون ذلك .

خالد : هذا فارس منهم قد برز .

سعد : أهو رستم ويحك ؟

خالد : كلا فذاك تاج رستم باق حيث كان . وإنما هذا رجل عربي

الزبيّ والهيئة .

سعد : لعله ترجمانهم ليقول شيئاً .

صوت الترجمان: يا معاشر العرب ! إنه ليس بينكم رجل هو كفو لرستم .

فإن أبيتم إلا أن تروا بأسه فليخرج له أميركم من قصره

سعد : أنصف والله رستم . . ويح ابن أبي وقاص ! قبّح الله يوماً

أدعى فيه للنزال فلا أجيب ! ياليتني مت قبل هذا اليوم !

صوت القعقاع : أبلغ رستمأعنا أننا معاشر العرب لا يستعبد بعضنا بعضاً

مثلكم ، فكلنا عند كلنا سواء . وإنما نتفاضل بالتقوى

والفعل . أما أنت يارستم فإنما طلبت أميرنا للخروج لأنك

تعلم عذره ، ولو أقلت أميرنا فرسه لأجابهك إلى ما سألت !

خالد : أقبل الفارس الذي بعثه رستم .

صوت القعقاع : هلم يا فارس ! لقد وقيت رستم بنفسك . أيها المسلمون هذا

تمام الثلاثين فكبروا !

أصوات المسلمين : الله أكبر !

صوت القعقاع : يا أبطال العرب ! قد أبرّ الله قسم أخيكم فهلّسوا الآن

فنازلوا أعلام العدو . اخرج يا عمرو وابن معد يكرب !

صوت عمرو : سميعاً دعوت ! أنا أبو ثور أنا فارس العرب !

خالد : هذا أبو ثور قد خرج كأنه جبل على فرس !

سعد : ايه يا اخا الصمصامة !

صوت عمرو : أنا ابن معد يكرب المرهوب قد علمت ريحانة اللعوب

أني إذا ما وهت القلوب خوفاً ، أكول للعداشرُوبُ

- خالد : ها قد برز له فارس جسيم لم أر مثله عظا .
- سعد : قد عرف القوم من يختارونه للقاء أبي ثور .
- خالد : أجل اختاروا له جبلا مثله .
- صوت عمرو : يامعاشر العرب . أرايتم هذا الثور الضخم ؟ انظروا ماذا أصنع به .
- خالد : عجبا ! لم يحمل عمرو سيفه بيده . . إنما بيده الترس وحدها
- سعد : أبا الترس وحدها يلقى هذا الهولة ؟
- خالد : شد عليه عمرو . . . أهوى العليج عليه بسيفه . . . اتقى عمرو ضربته بترسه . . . الله أكبر . . . وثب إلى العليج على جواده . . . أقله عالياً بيديه كأنه جبل على جبل على فرس ! رمى به إلى الأرض !
- أصوات المسلمين : الله أكبر !
- سعد : (يبتسم) قاتلك الله يا أبا ثور !
- صوت عمرو : أيها المسلمون ! اصنعوا كما أصنع واذهبوهم هكمذا .
- خالد : احتز عمرو رأسه . . . رمى به فوق صفوف العدو !
- سعد : والله يهيجن العدو بما صنع . آذنهم بالتكبير الرابعة الرابعة يا خالد
- خالد : أيها المسلمون . سيكبر أميركم الرابعة فاذا كبر فاحملوا على القوم ، والله ناصركم .
- سعد : (بأعلى صوته) الله أكبر !
- خالد : (بأعلى صوته) الله أكبر !

أصوات المسلمين: الله أكبر !

خالد : حمل المسلمون والتحم القتال .

سعد : (يدعو) اللهم انصر المسلمين ! اللهم نصرأ كنصر الشام !
ليت اللقاء تحملى . ويح لى مكبا على وجهى كالشيخ المحرم !
كيف ترى الناس يا خالد ؟

خالد : الميمنة غالبة على ميسرة العدو

سعد : لله در بنى أسد . هناك البطل طليحة بن خويلد

خالد : وهذا القلب بخير

سعد : غفر الله لبنى تميم ! هناك القعقاع بن عمرو ! أما ترى
الميسرة تتقهقر يا خالد ؟

خالد : أجل ، تلك خيول العدو تريد بها الإحداق .

سعد : مر طليحة فلينجد الميسرة .

خالد : (من يلبه من المبلغين) صلتى بالميمنة — صلتى ببنى أسد —

صلتى بطليحة بن خويلد — أدرك الميسرة يا طليحة

سعد : لله در القعقاع ! هذه خيوله ترد تترى فرقة بعد فرقة .

ليت هاشماً قد جاء بجيشه . اللهم اطوله الأرض طياً ،
اللهم أمدد به المسلمين !

خالد : هاقد أقبل طليحة ورجاله من خلف الميمنة

سعد : غفر الله لك يا طليحة ، لئن ادّعت النبوة يوماً وكفرت لقد

أبليت اليوم بلاء يمحو ما تقدم من ذنبك .

(لعلانه) حو'لوني إلى الجانب الآخر .

(يحمل الغلمان سرير سعد إلى الجانب الآخر من الشرفة حيث يغيب عن الأنظار)

(يمشي خالد على المصطبة حتى يتوارى ليكون قريباً من سعد)

(يتحرك السجف الذي على نافذة الغرفة التي فيها سلى زوجة سعد)

صوت سلى : وامثنّياها ! ولا مثنى للخيل اليوم !

أبو محجن : (متطلعا من شباك الحبس) صدقت والله : لا مثنى للخيل اليوم

ولا أبا محجن لها . برّبك ياسلى يا بنت آل خصفة ويا زوج

سعد إلاّ ما أصغيت لما أقول .

صوت سلى : من أنت يرحمك الله ؟

أبو محجن : أنا أبو محجن الثقي .

صوت سلى : ماذا تريد ؟

أبو محجن : أفنى الحق ياسلى أن أنظر إلى المسلمين وهم يقتاتلون العدو

وبأس العدو عليهم شديد فلا أقاتل معهم ؟

صوت سلى : فما يمنعك من ذلك ؟

أبو محجن : يمنعني هذا القيد في يديّ وهذا الأدهم في رجليّ وهذا

الباب الحديد المقفل !

صوت سلى : أفنى الحبس أنت ويحك ؟

أبو محجن : نعم ، فهل لك ياسلى إلى خير ؟

صوت سلى : وما ذاك ؟

أبو محجن : تأمرين غلامك فينخل عني ويعيرني باللقاء فرس سعد

صوت سلى : أتريد أن تهرب من الحبس ؟

أبو محجن : لا والله الذى لا آله إلا هو ما الهرب قصدى ، وإنما أريد القتال مع المسلمين . ولك على عهد الله وميثاقه لئن سلمنى الله لأرجعن اليك حتى أضع رجلى فى القيد حيث انا

صوت سلى : هلا سألت أمير الجيش ذلك ؟

أبو محجن : قد والله سألته وألحفت فلم يقبل منى

صوت سلى : إذا فأنا عن قبول ما سألت أعجز . والله ليغضبن سعد إن فعلت

أبو محجن : لن يدرى سعد بشيء من أمرى

صوت سلى : قد يتفقدك فلا يجدك حيث أنت .

أبو محجن : إن سعداً لى شغل شاغل عني فأنى يتفقدنى ؟

صوت سلى : كلا لا أجسر على ذلك

أبو محجن : آه إن لم تفعل فويح أبى محجن أبد الدهر !

(يترنم بصوت حزين مؤثر)

كفى حزناً أن تردى الخيل بالقنا

وأترك مشدوداً على وثاقيا

إذا قت عسائى الحديد ، وغلقت

مصاريع من دونى تصم المناديا !

وقد كنت ذا مال كثير وإخوة

فقد تركونى واحداً لا أخاليا

لقد شف جسمي أن أظل بمحبس
 أعالج قيـداً مصمتاً قد برانيا
 فله دري يوم أترك مؤثقاً
 وتذهل عني أسرتي ورجاليا
 حبساً عن الحرب العوان وقد بدت
 ويغـمـل غيري يوم ذاك العواليا
 سـليـمي ، دعيني أروسيـني من العدا
 فسيفي أضحي — ويحه — اليوم صاديا !
 دعيني أجـل في حومة الخيل جولة
 تفرج من همي وتحـي فؤاديا
 دعيني أخضـ ذاك الغبار ، فانه
 سلامٌ على قلبي ، شفاءٌ لما ييا
 يقطـع قلبي حـسرة أن أرى الوغى
 ولا سامعٌ صوتي ولا من يرانيا !
 وأن أشهد الإسلام يدعو مغوثاً
 فلا أنجد الاسلام حين دعانيا
 فياليتني لم أشرب الخمر مرة
 حياتي ، فمنها قد لقيت الدواها

نهاني عنها الدين دين محمد
 فياليتني لم أعصه إذ نهانيا
 والله عهد لا أخيس بعهد
 لئن فرجت أن لا ازور الحوانيا

سليمي ، أغثيني ، فقد مزق الأسي
 فؤادي ، وبل الدمع مني ردائيا
 سليمي اصنع لي الله ما أنت أهله
 يكن لك رب العرش غني جازيا
 والله عهد حين أنجو من الردى

أعيد لرجلي الوثاق مكانيا
 صوت سلي : ما أراك إلا صادقا في مقالك يا أبا محجن . ولكنني أخشى
 أن يتفقدك سعد فلا يجدك في الحبس فيعلم أني أمرت
 بإطلاقك

أبو محجن : قد قلت لك يا بنت آل خصفة إن سعداً لفي شغل غني
 فلن يتفقدني ، وإن خشيت ذلك بعد فري غلامك فليكن
 في الحبس مكاني حتى أعود

صوت سلي : ولكن الناس سيرونك في الميدان فيعرفونك
 أبو محجن : كلا إن يعرف أحد من أنا ، فسا غير هيئي ، وألوث عمامتي
 على وجه لا يعرفني فيه حتى ابن عمي

صوت سلى : أما هذا فنعم . . . (تقول لغلامها) انزل يا غلام فأطلق سراح

هذا الرجل واحلل انت مكانه حتى يعود

(يظهر الغلام عند أبي محجن فيحل القيد عنه)

أبو محجن : شكر الله سعيك يا زوج سعد . ألا تأمرين الغلام بأن

يعيرني البلقاء ؟

صوت سلى : أما البلقاء فلا والله لا أعيرك إياها

أبو محجن : إذن آخذها من الاصطبل

صوت سلى : انت وذاك

(يخرج أبو محجن من الحبس ويبقى الغلام فيه حيث ينهس فينام)

(يعود سعد الى مكانه الأول من الشرفة ، ويتبعه خالد فيقف على المصطبة

حيث كان)

خالد : الله اكبر . . من هذا الفارس المنطلق ؟ أحسبه هاشماً

ابن اخيك

سعد : كلا ما هذا بهاشم بن عتبة

خالد : فمن هو إذا ؟

سعد : لا أدري والله من هو . . . عجباً ، لقد قدُّ أبي محجن

والفرس فرسى البلقاء . . ولكن ابا محجن فى الحبس ،

والبلقاء فى الاصطبل

خالد : ها هو ذاك انطلق إلى الميمنة . . يحمل على ميسرة العدو . .

يقصف أبطالهم قصفاً ؟

- سعد : إليه أبا محجن ! أستغفر الله .. أبو محجن في الحبس ...
 اين انطلق الآن ؟ لم أعد أراه
- خالد : ستره الغبار
- سعد : ما أحسبه إلا استشهد رحمه الله !
- خالد : بل هو ذاك انحسر عنه الغبار — لا بل الفرس وحدها
 عُرياً ليس عليها راكب !
- سعد : عُرياً ! أكان ركبها عرياً ؟ لعله زل عن ظهرها .. ألم يجد
 في المسلمين من يعيره سرجا ؟
- خالد : قد وثب عليها فارس فركبها
- سعد : أهو الفارس الأول ؟
- خالد : لا أدري ... ها هو ذا انطلق مقبلاً
- سعد : يظهر لي أنه الفارس الأول
- خالد : الحق معك .. هو الفارس عينه
- سعد : هذا والله أبو محجن .. أستغفر الله .. أبو محجن في الحبس
- خالد : دار خلف المسلمين
- سعد : دخل في غمار القلب
- خالد : هو ذاك برز بين الصفين ... طفق يلعب برمحه وسلاحه
- سعد : ما أمره لاعباً بسنانه !
- خالد : تتحاماه الأبطال ... يحمل على القوم ... يقصفهم
 قصفاً منكراً

سعد : قد شغلنا هذا الفارس عن غيره . سل عنه من هو . تلك

كندة دونه . . أرسل السؤال الى الأشعث بن قيس

خالد : (لمن يليه من المبلغين) صلتى بالقلب . . صلتى بكندة . . صلتى

بالأشعث بن قيس . . سله من فارس البلقاء ؟

سعد : اين اختفى فارس البلقاء ؟ لا اراه .

خالد : أحاطت به كوكبة من فرسان العدو

سعد : أهو وسط تلك الحلقة المفرغة من الفرسان ؟

خالد : أجل . . هو ثم . . وا أسفاه عليه !

سعد : أين أولو النجدات ؟ أين عمرو بن معد يكرب ؟ أين

شرحبيل بن السمط ؟ أرسل إليهما لينجداه .

خالد : (لمن يليه من المبلغين) صلتى بالقلب . . صلتى بمذحج وبكندة

أين أنت يا أبا ثور وأين أنت يا شرحبيل ؟ أنجدا الفارس

المحاط به !

المبلغ الادنى : (لخالد) يقول الأشعث إنه لا يعرف فارس البلقاء وليس

هناك من يعرفه .

سعد : عجباً ! لا يعرفه إحد . لو كانت الملائكة تباشر القتال

لقلبت إنه ملك !

خالد : إن يكن من الملائكة فلاخوف عليه من إحاطة الفرسان

سعد : أما يزال قائماً بينهم ؟

- خالد : إن فرسه تدور بينهم كالخِزْد روف وهو يدفعهم عن نفسه .
 ما هو ذاك أبو ثور قد تقدم لنجدته :
- سعد : أجل . ذاك أبو ثور . ومن ذاك خلفه ؟
- خالد : شرحبيل بن السمط ورب الكعبة !
- سعد : لله أبوه ! لينتزعنّ هذا الشاب رئاسة قومه من يد
 الأشعث بن قيس .
- خالد : أما إنه لأحبُّ إلى كندة من الأشعث
- سعد : وأحبُّ إلى الله ورسوله منه .
- خالد : دخلا في رحمة الفرسان . . . انفرجت الحلقة .
- سعد : الحمد لله !
- خالد : أبو ثور يضرب بسيفه فيقصد الفرسان وأفراسهم معهم .
 والآخرا ن يطاعنا بالرماح !
- سعد : لم يبق إلا ثلاثة فرسان .
- خالد : هم أبطال الاسلام قد انكشف عنهم العدو !
- سعد : إذا لم يُصَبْ فارس البلقاء !
- خالد : نعم . . . لم يُصَبْ بسوء . ها هم قد رجعوا إلى صفوف
 المسلمين .
- سعد : اللهم اغفر لعمر بن معد يكرب . . اللهم اغفر لشرحبيل
 ابن السمط . . اللهم اغفر لفارس البلقاء !

- خالد : لست شعري من فارس البلقاء هذا ؟
- سعد : ما زلتُ في شك من أمره أن لا يكون أبا محجن الشقي
- (لأحد غلمانه) انزل إلى المحبس يا غلام فانظر هل ترى به أحدا ؟
- (يمضي الغلام)
- خالد : ها هو ذا فارس البلقاء قد دار خلف المسلمين أيضاً
- يقصد الميسرة .
- سعد : لو لم يكن أبو محجن في الحبس لأقسمت أنه هو .
- خالد : برز إلى ميمنة القوم يلعب برمحه وسلاحه
- (يعود الغلام)
- سعد : (للغلام) ما عندك . . هل وجدته في المحبس ؟
- الغلام : نعم وجدته نائماً يغط
- سعد : هل وجدت الباب مقفلاً كما كان ؟
- الغلام : نعم
- سعد : قبحه الله ! يغط نائماً والمسلمون في بأس شديد !
- خالد : حمل العدو حملة عنيفة . . انظر . . هؤلاء الثلاثون ألفاً
- المسلمون قد زحفوا على القلب فزحزحوه
- سعد : أجل . . لا حول ولا قوة إلا بالله . أين أبطال تميم ؟ أين
- القعقاع ابن عمرو ؟
- خالد : إنهم لا ريب يريدون هذا القصر لمكانك يا سعد . ألا ترى
- الأفضل أن نبرح هذا الموضع ؟

سعد : (غائباً) ثكلتك أمك يا خالد ! أتدعوني للفرار ويلك ؟
 كلا والله لا أبرح موضعي هذا حتى أقتل ! اللهم الطف
 بالمسلمين . . اللهم نصرك ووعدك ! أين القعقاع ؟ سل
 عنه ويلك أين هو ؟

خالد : (لمن يليه من المبلغين) صلي بتميم . . سل عن القعقاع بن
 عمرو وأين هو ؟

(سعد) هذه فرسان العدو يا سعد قد اخترقوا الصفوف
 من جانبي المسلمين !

سعد : اللهم حمى الوطيس . . اللهم وعدك ونصرك !

خالد : إن تميما لا تعرف أين غاب القعقاع !

سعد : يرحمه الله ! أترأه استشهد ولم يروه ؟ واهأ عليك
 يا فارس تميم !

خالد : هذان فارسان من العدو قد أقبلنا نحونا منطلقين !

سعد : جرد سيفك يا خالد وصرح بالمسلمين النجدة

خالد : (بأعلى صوته شاهراً سيفه) النجدة النجدة يا أبطال المسلمين !
 القصر القصر !

صوت : لبسك يا سعد ! أنا علباء بن جحش !

سعد : هذا علباء بن جحش العجلي . . . كثر الفارسان عليه

خالد : شدّ علباء على أحدهما فأطار رأسه . . . أوّاه ! طعنه
 الآخر في بطنه فخرّ على الأرض !

- سعد : قام علباء فرمى بحربته على الفارس فأنشبهها في حلقه .
- خالد : ويح علباء ! أما تراه قد انتثرت أمعاؤه في الأرض وهو يجمعها !
- صوت علباء : رحم الله مسلماً أعانني فأدخل لي أمعائى !
- خالد : هذا رجل من المسلمين قد أدخل له أمعاءه .
- صوت علباء : أرجو بها من ربنا ثواباً قد كنت ممن أحسن الضرابا
- سعد : أجل والله الجنة !
- خالد : ما أثبت جنانه ! ركض إلى الميدان ويد على بطنه وأخرى تحمل السيف .
- سعد : اللهم ارحم علباء بن جحش !
- خالد : ما العمل ياسعد . ما تزال جنود العدو تتقدم وجنودنا تتقهقر في القباب والميسرة .
- سعد : تلك الكتيبة المسلسلة كأنها قطعة صماء من الحديد هي التي زحزحت المسلمين القهقري
- خالد : أجل وفرسانهم يحمونها من حفافها .
- سعد : واهأ على القعقاع لو شهد !
- خالد : الله أكبر ! ماهذه الأغوال السود قد مرقت من صفوف المسلمين إلى الميدان !
- سعد : الله أكبر ! لم يمت القعقاع . . هزم أغواله السود . .
- ه إبله المبرقة بالسواد . هزيمة العرب !

خالد : أجمعت خيول العدو وولت منهزمة لا تلوى على شيء .
ارتطم بعضها في الكتبية المسلسلة ! انطلقت خيول
المسلمين تطارد خيول العدو ! ارتد رستم إلى الوراء ...
انهزم رجاله ...

أمرات المسلمين: (يدوي كالرعد) الله أكبر ! الله أكبر ! الله أكبر !

سعد : مر المسلمون أن لا يتعقبوا العدو وراء المعبر .

خالد : (بأعلى صوته لمن يليه من البلعين) أيها المسلمون قد أمر سعد أن
لا تتعقبوا العدو وراء النهر !

سعد : انظر يا خالد . تلك الكتبية المسلسلة تنهزم يثأ بعضها بعضا

خالد : والمسلمون وراءهم يعملون السيوف في ظهورهم .

سعد : إن يجوز المعبر منهم أحد . . ليبيدنيهم المسلمون دونه .

(يتنفس الصعداء) الحمد لله ، قد نفّس الله عن المسلمين وهزم

العدو إلى حين . يوم بيوم .

خالد : غداً يجيء هاشم بالمدد

سعد : أجل إن شاء الله . غداً يكون الفصل !

الفصل الثاني

المنظر نفسه في شرفة القصر . يظهر سعد بن أبي وقاص قاعداً على سريره وحوله المغيرة بن شعبة والقعقاع بن عمرو وعاصم بن عمرو وغلان سعد الثلاثة .

القعقاع : لو تركتنا فجزنا المعبر في إثر العدو لنكنا به .

سعد : ويلك يا قعقاع ، إن المسلمين قد لقوا بأساً شديداً أمس واليوم ، ووجيئت خيولهم فلا بأس أن يستجمعوا إلى الغد . وغداً يحى هاشم بالمدد إن شاء الله فيكون للمسلمين قوة عاصم بن عمرو : ليس لنا أن نغتر بارتداد العدو اليوم ، فغداً يعاودنا رستم بجموع أكبر عدداً ، وأكثر مدداً .

القعقاع : إذا يجدونا إن شاء الله كما يسر الله ورسوله ويسوءهم سعد : قد جاءني اليوم رسول لأمير المؤمنين بأربعة أسياف وأربعة أفراس لأقسمها فيمن انتهى اليهم البلاء من أبطال المسلمين ، وأنتم أهل الرأي والمشورة ، فمن ترون أحق بها من سواهم ؟ (يسكت الثلاثة منهم)

المغيرة : (للقعقاع وعاصم) مالكم لا تنطقان ؟ لعلكم تخشيان أن لا تذكراني بين المستحقين . والله لو علمت أني أحدهم لطالبت بنصبي من تسكرمة عمر ، ولكني أرى أن تعطى هذه

التكرمة لكما ولطليحة بن خويلد وحمال بن مالك والربيع
ابن عمرو وعمرو بن معد يكرب. وأضيفوا اثنين آخرين اليهم
القعقاع : اين انت من الأبطال اليربوعيين الثلاثة ؟ فوالله إنهم
لأحق الناس

سعد : اذا يزيد عددهم واحداً ليس له شيء

عاصم : فليكن نصيبي لعمر وبن معد يكرب ، فإن ابا ثور يحب
الزهو ، ويحتاج الى التألف

سعد : بارك الله فيك يا عاصم . ولكنكم نسيتم ايضاً فارس البلقاء
فقد أبلى والله بلاء كبيراً

القعقاع : اجل . . بيد أننا لا نعرف من هو

عاصم : إنه ليشبه ابا محجن الثقفي

سعد : صدقت . . وفرسه تشبه البلقاء فرسى ، ولكن ابا محجن
فى الحبس ، وفرسى فى الاصطبل

القعقاع : رأيت قوماً يحسبونه من الملائكة

عاصم : وسمعت آخرين يتحدثون انه الحضر عليه السلام

سعد : فمى سكت يا ابن شعبة . . ما تقول انت فيه ؟

المغيرة : أما أنا فانى والله لا أخدع . إنه أبو محجن الثقفي نفسه
بلحمه ودمه ، والفرس فرسك ياسعد

سعد : ولكنى قد بعثت الغلام يتفقده حينئذ فوجده نائماً فى
المحبس يغط

المغيرة : هل بعثته ايضاً فتفقد الفرس في الاصطبل ؟

سعد : لا والله لم يخطر هذا ببالى حينئذ

المغيرة : لا بد أنه انطاق وأقام مكانه غيره وخلفك على الفرس

(لأحد غلمان سعد) هلم معى يا غلام إلى الاصطبل

(يخرج المغيرة بن شعبة يتقدمه الغلام)

سعد : لقد شككتنى المغيرة فى أمر هذا الفارس

عاصم : مُعضلةٌ ليس لها إلا المغيرة داهية العرب

القعقاع : لقد أعطيت القوس لباريها

(يعود المغيرة والغلام)

المغيرة : وجدتها تنهج إعياء، وترفض عرقاً. فلاريب أنه أخذها فركبها .

سعد : (لاثنين من غلمانه) انزلا فائتيانى بأبى محجن .

أحد الغلامين : أنحل عنه قيده ؟

سعد : كلا ويلك . . ائتياى به فى قيده !

(يخرج الغلامان)

سعد : والله لئن يكن هو فارس البلقاء، لأطلقن سراحه ولا كافئته !

عاصم : أكرم به فارساً لو لا استهتاره .

المغيرة : ماضركم لو تركتموه يقاتل مع المسلمين كما يشاء !

سعد : دعنى من هنيئاتك يا مغيرة ! ما كنت لأدعه يرى المسلمين

يتحاضون على الجهاد فى سبيل الله، فيتغنى بينهم بأم الخبائث

(يعود الغلامان بأبى محجن يرسف فى قيوده)

أبو محجن : لعلك تريد أن تطلقني الآن ياسعد بعد أن انتهى القتال .

سعد : دعني من هذا ، ولسكن قل لي فاصدقني : أبرحت المحبس

وانطلقت باللقاء إلى الميدان ساعة البأس ؟

أبو محجن : أتى لي ذاك ياسعد ودوني المصراع الحديد وهذه القيود

في يديّ ورجليّ ؟

عاصم : ولسكن رأينا فارساً يشبهك تمام الشبه يقاتل على اللقاء

أبو محجن : أين يذهب بجلوكم يا قوم ؟ أتجدّون معي أم تهزلون ؟

القحطاع : بل أنت هو ، وقد رأيناك جميعاً ، فلا تحاول الإنكار

أبو محجن : لعل الله شاء أن لا يحرمني ثواب القتال وقد نويته ،

فأرسل ملكاً على صورتي ليقاتل مكاني !

سعد : فما بال اللقاء وجدناها تنهج إعياء وترفض عرقاً ؟

أبو محجن : لا أدري ما بال الفرس . . . سلوها من ركبها ؟ وبعد فما

يضر أمير الجيش خروج فرسه للقتال ، وهو قاعد في

القصر ؟ لقد نابت الفرس عن صاحبها في القتال ، وناب

الملك عني !

سعد : ما أنت وذاك ويلك ؟ أئنك لتعيّرني أيضاً بالعودة ؟

أبو محجن : لست أنا الذي عيّرك بالعودة يا سعد ، وإنما هو القائل

نقاتل حتى أنزل الله نصره وسعد بيباب القادسية معصم

فأبنا وقد آمت نساء كثيرة ونسوة سعد ليس فيهن أيّسم !

سعد : شد ما لقيت من قومي ! والله لو لا خشيتي على المسلمين
لاستعفيت من إمرة الجيش . قبَّح الله يوماً أعير فيه
بالجن ، والذي نفس سعد بيده لو ددت أني أقتل في سبيل
الله ثم أحيأ ثم أقتل ثم أحيأ ثم أقتل كما ود حبيبي رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذلك

المغيرة : هوّن عليك يا سعد إن مثلك لعمرى لا يحبّتن ، وقد شهدت
المشاهد كلها مع رسول الله ، وكنت من السابقين الأولين
عاصم : وكنت أول من ذبّ عن رسول الله ، ووقاه بنفسه ، حتى
فداك بأبيه وأمه ولم يجمعهما لأحد غيرك

سعد : (رفع رأسه) اللهم إن كان قائل هذين البيتين كاذباً ، أو قالها
رياء وسمعة ، فاقطع عني لسانه ويده

أبو محجن : والله ما جنى على قائلهما أحد غيري إذ هجّتك عليه يا سعد .
إنك — ما علمت وعلم المسلمون — لمجاب الدعوة

سعد : وإنك — ما علمت وعلم المسلمون — لسيء الأدب
مستهتر . فقل لي من أطلقك وأعارك الفرس ؟

أبو محجن : والله ما أطلق رجلاً أحد وما أعارني الفرس أحد
المغيرة : أجل . . أطلق هو رجليه بنفسه . . سل الموكل بالفرس
يخبرك يا سعد

سعد : (لأحد علمانه) اتّنى بيمون يا غلام

(يخرج الغلام ثم يعدد ميمون)

سعد : هلستم يا ميمون . . هل أعرت البلقاء لأحد ؟

ميمون : لا وعيشك ما أعرتها لأحد

سعد : والله لتقولن الحق أو لأوجعنك ضرباً

(يسكت الغلام)

سعد : خذ سوطي هذا فاجلد الغلام يا قعقاع

(يسمع صوت سلى من خلف الباب)

سرت سلى : مهلاً يا أمير الجيش . ! لا ذنب للغلام . أنا التي أمرته

بإطلاق أبي محجن بعد أن وثقت بعهدته أن يعود بعد

القتال إلى المحبس والقييد . وقد فعل والله وأوفى بعهدته

سعد : هيه يا أبا محجن . . أتكذبنى ويلك ؟

أبو محجن : لا والله ما كذبتك ياسعد وليس الكذب من شيمتى

سعد : ألم تحلف لى بأن أحداً ما أطلقك أو أعارك الفرس ؟

أبو محجن : (يشير إلى المغيرة) سل هذا الداهية يجبك

المغيرة : لقد صدق أبو محجن ياسعد . إنه إنما حلف لك أن أحداً

لم يطلق رجليه ، فقد أطلق هو رجليه بنفسه ، بعد أن

أطلق الغلام يديه

سعد : (بضحك) ما رأيت أعجب منكما ما كرين ! . . والبلقاء ألم

يعركها أحد ؟

أبو محجن : لا والله لا أكذب على زوجتك صاحبة الفضل على فيما

صنعتُ لله ما هي أهله . لقد سألت سلمي أن تأذن لي
بالفرس فلم تفعل ، فسطوت على البلقاء غصباً . فإن أردت
أن تعاقبني على شيء ، فعاقبني على أخذي الفرس دون
إذن ذويها

سعد : كلا والله لا أعاقبك . لقد أبى الله أن تقاتل خيول المسلمين
وتبقى البلقاء مربوطة في الاضطبل . خذها إليك يا أبا محجن
مكافأة لك على حسن بلائك

أبو محجن : ماذا أصنع بالبقاء وأنا مقيد في الحبس ؟
سعد : صدقت . . والله لا تعود إلى الحبس . أمط القيود
عنه يا غلام

(يحل الغلام القيود عن يديه ورجليه)

أبو محجن : شكر آ لك يا ابن أبي وقاص . . إنك لأمير كريم
سعد : لا تشكرني واشكر صاحبة الفضل عليك سلمي بنت آل
خصفة ! لا كنت ابن حرّة إن أغضبته أو عتبت عليها
بعد اليوم !

صوت سلمي : غفر الله لك يا سعد . . لأن كنت أغضبتني لأنا الجانية
عليك الظالمة لك ، إذ لمتك على قعودك عن القتال
وأنت على حالك لا تستطيع الحركة أو النهوض .

سعد : يغفر الله لك يا سلمي . . هل نهض عندك عذري الآن ؟

صوت سلى : يشهد الله إنها لكلمة أرسلتها عن غير قصد منى . فهبها
لى يا صاحب رسول الله ، فوالله ما اكتحلت عيني بنوم
منذ قاتتها .

سعد : لا عليك يا سلى . . بل . . ما يحين أنت إذ لطمتك ، فقد ترين
ما أنا فيه من الكرب وضيق العطن

صوت سلى : أ جل . . شفاك الله وعافاك ! والله لئن كنت لطمتنى
لسيد بايعت يمين رسول الله وذبت عنه فهى شرف لى
سعد : لا عدمتك يا سلى . . بارك الله فيك

أبو محجن : إى والله ، وشكر سعيك يا بنت آل خصفة . إنك والله
لكريمة عند بعل كريم !

سعد : أحسنت إذ شكرتها فإنها لربة الفضل عليك

أبو محجن : لقد نسيت أمراً يا سعد

سعد : وما هو ويحك ؟

أبو محجن : أن تقيم حدَّ الخمر علىَّ

سعد : هيهات يا أبا محجن ، هيهات أن أكون أكرم لك من ربى

فأعفو عنك ولا يغفر الله لك عز وجل

أبو محجن : ولكنها كفارة لى أظهر بها من ذنبى

سعد : انى لأرجو أن قد غفر الله لك ، وكفر عن خطيئتك

بما دفعت عن المسلمين اليوم . ولعل الله يتوب عليك فلا
تعود لشربها أبداً

أبو محجن : (يترقق الدمع في عينيه) أشهدك الله يا سعد وأشهدكم معشر
الحاضرين أنني قد كنت أشربها إذ كان الحدُّ يقام عليَّ
وأظهر منها ، فأما إذ أسقطه الأمير عنِّي فلا والله
لا أشربها أبداً

سعد : أما إني لأعلم أنك امرؤ صدوق يا أبا محجن

أبو محجن : ولكن ... تبألى !

سعد : ماذا ويحك ؟

أبو محجن : آياتٌ من الشعر أخذت تدب على لساني ، لولا أنك
تكره سماعها لقلتها .

سعد : قلها ولا حرج !

أبو محجن : إن كانت الخمر قد عزت وقد منعت

وحال من دونها الإسلام والخراجُ

فقد أبا كرهاً صرفاً ! وأمزجها

ريّاً ، وأطرب أحياناً وأمتزجُ

وقد تقوِّم على رأسي منعمة

فيها إذا رفعت من صوتها غنجُ

ترفع الصوت أحياناً وتخفضه

كما يطن ذباب الروضة الهزجُ

أستغفر الله من إثم نطقته به

تهفو به كبدي كرهاً وتختلج

سعد : لا اخرج عليك إن شاء الله .

أبو محجن : ألا تدعو الله لي يا سعد فانك لمجاب الدعوة .

سعد : (رافعا يديه) اللهم اغفر لعبدك أبي محجن وتب عليه . اللهم

بغضها إلى نفسه ، كما حببت إليه الجهاد في سبيلك !

أبو محجن : فزت بدعوة سعد ورب السكبة !

يا خمر ! لاحظ لي في تترك أو في لجسيتك

لقد صحبتك حتى قضيت كامل دينك

وكنست قرّة عيني وكنست قرّة عينك

فودّعي اليوم ، هذا فراق بيني وبينك !

(ستار الختام)

دار الفكر العربي

مؤسسه عربية للطباعة والنشر
شارع القصر العيني عمارة مارسيني بالقاهرة
تليفون ٥٦٤٦٧

ظهور حديثاً

بين الحبشة والعرب ، للاستاذ عبد المجيد عابدين مدرس اللغة الحبشية : ٢٥

موضوع جديد لم يطرقه مؤلف عربي من قبل ، تقرأ فيه آراء جديدة في هجرة المسلمين إلى الحبشة ، آثار الحبشة في البلاد الإسلامية ، أصحاب القيل ، أصحاب الأخدود ، الاسلام في الحبشة .

الحجاج سيف بنى مروان ، للاستاذ عبد الرازق حميد المدرس بدار العلوم : ٢٥

كتاب يرض تاريخ رجل من رجالات بنى أمية ، الذين كان لهم فضل على السياسة والأدب وطار لهم ذكر في المشارق والمغارب ، في أسلوب على دقيق ورعاية للحق وعناية بالشواهد والأبراهين .

الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول ، ٥٠

للدكتور عبد اللطيف حمزه المدرس بكلية الآداب بجامعة فؤاد :
قدم له الأستاذ احمد أمين بك فقال : إن قراءة هذا الكتاب تدل دلالة قاطعة على ما بذله المؤلف من جهد معنوي وعناء متواصل في سبيل دعوة يعضل سالكمها وتصب روية معالمها إلا بعون من الله .

قصصنا الشعبي ، للدكتور فؤاد حسنين على الاستاذ بكلية الآداب بجامعة فؤاد : ٣٠

قال فيه الاستاذ محمود تيمور بك : اطلت على أبحاث فنية عن قصصنا الشعبي دبحتم بواعثكم السكرية فراقنتي فيه تحليلكم الفني لهذه القصص واهتمامكم بالترفيف به فكتبتم اليكم هذا لأعبر لكم عن صادق الإعجاب .

بحث في المسرحية في شعر شوقي وتقديم لتاريخ المسرح المصري وظواهره من عصر الفراغة حتى العصور الحديثة ، وتفسير مقومات مسرح شوقي من تأثره بالمسرح الأوربي والمسرح المصري المعاصر مع تحليل ونقد كل مسرحية نقداً نظرياً .

قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام ،

للدكتور توفيق الطويل المدرس بكلية الآداب بجامعة فاروق :
سيرة الاضطهاد الدامي الذي أنزله الرومان بالمسيحية وشهادتها ، والسكنيسة الكاثوليكية على خصومها من الكاثوليك والبروتستانت وغيرهم من رواد الفكر الحديث ، وتاريخ ما وقع في الإسلام من مآسر الاضطهاد المرير مع دعوة للتسامح والحرية الدينية قبل أن تعرف أوروبا هذه الحرية بأحد عشر قرناً من الزمان ،

مرقص العميان ، للدكتور عارف العارف :

قصة رائعة تعرض حوادث قبيحة فقد البصر ولم يفقد البصيرة فصورت نزاعات وآراءه ، وآلامه وملذاته على الشيء ، وأطلعنا على الشيء الكثير من دنيا العميان .

الأدب المقارن ، تأليف فان تيجم استاذ الأدب بالسوربون :

با كورة سلسلة الآداب العالمية التي تصدرها دار الفكر العربي من تأليف كبار الأساتذة وترجمة خير الكتّاب العرب ، نقطة حاسمة في تاريخ الدراسات الأدبية باللغة العربية .

مر الحاكم بأمر الله ، للاستاذ علي احمد با كثير :

أقوى مسرحية ظهرت باللغة العربية ، تجلّو شخصية الحاكم وتكشف سرها الذي حير المؤرخين . وقد فازت بالجائزة الممتازة في مباراة وزارة الشؤون الاجتماعية .

أطفال بلا أسر ، تأليف آنا فرويد ودروثي برانجهام . تعريب الأستاذين :

محمد بدران المراقب العام المساعد للثقافة بوزارة المعارف ورمزي يسى :
يبحث مشاكل الأطفال الذين يربون بالملاجيء ودور الحضنة ، كما يبحث في العلاقة بين الأطفال وأنفسهم ، وبينهم وبين مربياتهم ، وبين أثر المعاهد في نفوسهم كما يكشف عن الآثار التي تنجم عن حرمان الطفل من أسرته .